أخطر عمليات الجاسوسية





أ / جلال عبد الفتاح
أ / حمدي مصطفى

مقدمة المحرر

الهدف من عمليات الاستطلاع والجاسوسية ، هو جمع المعلومات فى كافة المجالات ، بما فيها العسكرية والسياسية والعلمية والاقتصادية وغيرها . فالمعرفة قوة ، والقوة أثمن سلعة لدى أية دولة . إذ إن معظم الحروب بدأت بسبب معلومات غير كافية ، وتقديرات غير صحيحة . وهى بالطبع عمليات خطيرة وخفية وباهظة التكاليف ، وتمتلئ بالتنافس والثأر . وتقتضى ثقافة واسعة ، وخبرة عالية ، ورؤية شاملة ، وذهن متفتح على مستوى الأحداث .

والمعلومات فى هذا العصر متوافرة بشكل خطير ، ولكن هذا لايشكل شيئًا فى حد ذاته .. إذ لابد من استخراج الدلالات لما يمكن أن تشير إليه هذه المعلومات . بل لابد من وجود أكثر من جهة كى تتدخل وتعيد تحليل وتقييم المعلومات مرة أخرى . إذ إن المفاهيم التى يعتنقها شخص ما تحدد إلى درجة كبيرة نوع التفسيرات للمعلومات التى أمكن الحصول عليها .

فالمعلومات لاتشرح نفسها ، ومهما بلغت وفرتها أو تأكيدها ، فإن القيمة الأساسية فى تحليلها وتقييمها .

فالخطأ الواحد فى تفسير موضوع معين ، يمكن أن يشكل كارثة لايمكن تداركها . كما حدث فى حرب أكتوبر 1973 ، وحرب الكويت 1990

وجميع دول العالم ـ وعددها الآن 192 دولة ـ لديها أجهزة للأمن أو الاستطلاع أو المخابرات ، بخلاف أعمال البوليس الجنائية والداخلية . ولابد أولا من تجميع المعلومات بكافة الوسائل المختلفة ، سواء بالتجسس التقليدى بالأفراد ، أو بالتصوير الجوى والإنذار المبكر ، أو بأقمار الاستطلاع الفضائية ، أو بالمحطات الأرضية للتنصت على الاتصالات والتحركات المختلفة ، أو حل شفرة « كود » البرقيات وغيرها . ويشمل ذلك المعلومات العسكرية والاقتصادية والعلمية ، بل والبيانات الشخصية وغيرها . ثم يتم تصنيفها وتبويبها ، وإيجاد النقاط التى تربط بين بعضها . ثم يجرى تقييمها وتحليلها من كافة الجوانب للخروج برأى ، ثم تقوم لجنة بفحص جميع الآراء للوصول إلى اتجاه ، حيث يُرفع إلى الجهات الأعلى لاتخاذ القرارات المناسبة .

بالطبع تختلف مثل هذه الأجهزة من دولة إلى أخرى طبقًا للإمكانيات المتاحة ، ومن نظام إلى آخر من نظم تشكيل وإدارة هذا العالم الخفى . ففى ألمانيا توجد ثلاثة

أجهزة ، وهى المكتب الفيدرالى لحماية الدستور BFV . والمخابرات الحربية الألمانية MAD ، والمخابرات المضادة للجاسوسية BND . وقد ألغى جهاز أمن الدولة Stasi فى ألمانيا الشرقية ، بعد توحيد الألمانيتين عام 1989

وفى بريطانيا يوجد جهازان أساسيان ، يختصان بالمسائل السياسية القومية العليا ، أى مخابرات السياسة الاستراتيجية ، شأن الأجهزة الكبرى . وهما جهاز الأمن الداخلى « إم . أى فايف » M.I 5 ، وجهاز الأمن الخارجى « إم . أى . سيكس » M.I 6 . تتبعهما العديد من الإدارات الفرعية المتخصصة .

وكان فى روسيا جهازان أساسيان وهما المخابرات الحربية ، ولجنة أمن الدولة المشهورة باسم «كى . جى . بى» KGB . وهى اختصار عبارة روسية لاسم اللجنة «كوميات جسود أرستفينوى بيروباسنزستى» . ولكن بعد اشتراك هذا الجهاز فى محاولة الانقلاب العسكرية فى أغسطس 1991 ، وانهيار الاتحاد السوفييتى وتفكك واستقلال دوله فى دسيمبر 1991 ، فقد تم حل هذا الجهاز ، وقسم إلى أربعة أجهزة مستقلة ، تراقب بعضها البعض كما يحدث فى معظم الدول الكبرى . وهى جهاز المخابرات الخارجية S.V.R ، وجهاز مكافحة التجسس M.B ، وجهاز الأمن الداخلى M.B.D ، وجهاز المخابرات الحربية B.R.U وهو أقواها وأهمها .

أما فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فالمسألة أكثر تعقيدًا ، حيث هناك العديد من أجهزة المخابرات منها وكالة الأمن القومى NSA فى فورت ميد Fort Meade بولاية ميريلاند ، والتى تشرف على جميع عمليات الاستطلاع والتجسس الإليكترونى من سفن متحركة ، وأقمار صناعية ، وطائرات حاملة للرادار ، ومحطات أرضية ثابتة حول العالم وغيرها . ثم وكالة المخابرات المركزية CIA ، ومكتب التحقيقات الفيدرالى FBI . ومكتب مخابرات الدفاع G - 2 ، ومكتب مخابرات البحرية N - 2 ، ومكتب مخابرات سلاح الطيران A - 2 . وهذه الأجهزة العسكرية الثلاثة تمارس أعمالها فى مبان منفصلة فى أرلنجتون بولاية فيرجينيا . ومكتب الاستطلاع الفيدرالى نارو NRO بوزارة الدفاع الأمريكية « البنتاجون » فى واشنطون ، مع مركز تجميع الصور الفيدرالى الأمريكى ، وغيرها من الأجهزة الفرعية المتعددة . وطبقًا للقانون يقوم مدير وكالة المخابرات المركزية CIA ، برئاسة لجنة مخابرات الولايات المتحدة ، التى تضم مندوبين عن كل جهاز . ويجرى اجتماع أسبوعى للجنة فى مقر الوكالة فى لانجلى Langley بولاية فرجينيا لتنسيق المعلومات . والتى تعرض على لجنة أعلى بحضور الرئيس الأمريكى .

ويضم الاستطلاع الفضائى العسكرى مجموعة كبيرة من الأقمار الصناعية المتخصصة ، منها سبعة أقمار من طراز «كيه . إتش» K.H - 11 ، التى تدور فى مدار قطبى من الشمال إلى الجنوب على ارتفاع 800 كيلومتر ، بمعدل مرة كل 90 دقيقة . وسبعة أقمار من طراز K.H - 12 الأكثر دقة . وثلاثة أقمار من طراز لاكروس Lacross الذى يُعد أحدث هذه الأقمار وأغلاها ؛ حيث تصل تكلفته إلى أكثر من 700 مليون دولار ، وعلى ارتفاع 1500 كيلومتر .

وكذلك مجموعة أقمار ريولايت Rhyolite على ارتفاع 36 ألف كيلومتر ، حيث إنها مخصصة لمراقبة ذبذبات وترددات الصواريخ عند إعدادها للإطلاق ، ولكنها تستطيع تسجيل 11 ألف مكالمة تليفونية فى وقت واحد ، وإرسالها على الفور إلى المحطات الأرضية . أما أقمار أورسات Eorast التى تدور على ارتفاع 650 كيلومترًا فمخصصة للتنصت التليفونى فقط حول العالم ، والاتصالات اللاسلكية وعبر شبكة الميكروويف ، وليس الشبكات الأرضية المغلقة .

هناك أيضًا أقمار خاصة للاتصالات العسكرية المغلقة التى لا يمكن التشويش عليها . كما أن هناك شبكات جوية للاستطلاع الإليكترونى والتصوير بالطائرات ،

فضلاً عن المحطات الأرضية الثابتة أو السفن المتحركة حول العالم . ولكن حوالى 20 فى المائة من المعلومات تأتى من الجاسوسية التقليدية ، التى تعتمد على الجواسيس والعملاء ؛ بل وعلى ترجمة ما ينشر فى أى مجال وبأية لغة وفى أى مكان .

ولكن المشكلة الكبرى لجميع هذه الأجهزة ، تأتى من العملاء المزدوجين . ففى عام 1979 جرى القبض على جيوفرى برايم Geoffrey Prime ، الذى كان يعمل خبيرًا فى مركز الاتصالات الإليكترونية السرية البريطانية فى شيلتنهام Cheltenham ، لتزويده المخابرات الروسية بمعلومات خطيرة . كما قبض على محلل المعلومات فى المخابرات البحرية الأمريكية يوناثان بولارد Jonathan Pollard ، لتزويده إسرائيل بمعلومات مقابل 50 ألف دولار .

وكذلك العميل لارى تاى شين الذى عمل فى المخابرات المركزية الأمريكية لمدة 33 سنة ، لتزويده الصين بمعلومات مهمة . ورونالد بيتلون Ronald Petlon ، الذى عمل فى وكالة الأمن القومى الأمريكية لمدة 14 عامًا وزود روسيا بمعلومات نظير المال . وفى يونيو 1982 قبض على ثلاثة

موظفين من شركة هيتاشى Hitachi اليابانية ، لمحاولتهم شراء معلومات عن جهاز كمبيوتر لشركة I.B.M الأمريكية . كما قبض على جيرى وايتورث Jerry Whitworth الذى كان رئيسًا لقسم فى المخابرات البحرية الأمريكية ، وزوَّد روسيا بمعلومات مهمَّة عن الغواصات الأمريكية . والقائمة طويلة ولا يسعها هذا المقام ، وهى مشكلة خطيرة فى جميع أجهزة المخابرات العالمية .

وسوف تستمر أعمال التجسس والاستطلاع على جميع المستويات وبكافة الطرق ، طالما أن التنافس والتدافع والتصادم بين الأفراد والجماعات والأمم والشعوب ، سِمَةَ الحياة على الأرض . ولولا ذلك لفسدت الأرض [البقرة - 251] ، وقد كتب علينا القتال وهو كُره لنا [البقرة - 216] . وأن اللّه يذيق بعضنا بأس بعض [الأنعام - 65] ، كما أنه سبحانه يسلط رُسله على من يشاء [الحشر - 6] ، ويبلوا بعضنا ببعض [محمد - 4] .

وهذا الكتاب يعرض لأهم الأحداث فى عالم الجاسوسية ، مما كان لها تأثير مهم فى تطور الأمور . مع بعض الوقائع التى يمكن أن تعطى فكرة سريعة عن هذا العالم الخفىّ .

مصر الجديدة

جلال عبد الفتاح

١ ـ حاول إنقاذ وطنه من الاحتلال النازى ..

[بقلم : جورج مارتيل]

اجتاحت قوات البانزر المدرعة الألمانية خط ماجينو الدفاعى الفرنسى ـ الذى يمتد على طول الحدود الفرنسية مع بلجيكا وألمانيا ـ وخلال أسابيع قليلة كانت هذه القوات الغازية قد دخلت باريس فى 14 يونيو 1940 . وأصبحت فرنسا تحت الاحتلال الألمانى النازى ، فيما عدا المنطقة الجنوبية المطلة على البحر الأبيض المتوسط ، والتى كانت خاضعة للحكومة الفرنسية التى شكلت بسرعة ، برئاسة المارشال الفرنسى بيتان Petain ـ وبالطبع كانت موالية لقوات الغزو ، حيث أعلنت استسلام فرنسا رسميًا فى 22 يونيو .

ولكن هذا الأمر لم يقبله الكثيرون من الفرنسيين ، الذين انخرطوا فى أعمال المقاومة المسلحة ، ضد قوات الاحتلال . وشكلت حكومة فرنسية أخرى فى المنفى ، مقرها لندن وبرئاسة الجنرال دى جول . حيث كانت على

هتلر - الثانى من اليمين فى الصف الأول - مع القادة الألمان فى باريس ، يوليو 1940

اتصال دائم برجال المقاومة الفرنسيين ، بالتعاون مع المخابرات البريطانية .

وفى نفس الوقت كانت القيادة العسكرية الألمانية تعد العُدة لغزو بريطانيا بحرًا باسم العملية « سى لايون » Sea Lion . ولكى تمهد لهذا الغزو قامت القاذفات الألمانية بشن سلسلة رهيبة من الغارات الجوية اليومية ليل نهار ، على جنوب شرق بريطانيا ، وباقى المدن والموانى البريطانية . واستطاعت المقاتلات البريطانية من طراز سبيتفاير إسقاط العديد منها ، بمساعدة أجهزة الرادار التى كانت فى بداية عملها الأول . واستمرت هذه الغارات اعتبارًا من 8 أغسطس 1940 وحتى 29 أكتوبر 1940 ، بما عرف باسم « معركة بريطانيا » وفى النهاية ألغى الزعيم النازى أدولف هتلر ، خطة غزو بريطانيا ، واتجه إلى روسيا فى يونيو 1941

ولكن هتلر لم يستبعد فكرة غزو بريطانيا تمامًا ، ولكنه أجلها فقط لحين الانتهاء من سحق الجيش الروسى ، وتأمين الجبهة الشرقية فى ظهر ألمانيا . ولذلك أقام مجموعة من المصانع فى ميناء بينمونده ـ الذى يعرف حاليًا باسم ميناء جدينيا Gdynia شمال بولندا على بحر

البلتيك ـ وذلك لصنع صواريخ متطورة لضرب لندن والموانى والمدن البريطانية . انطلاقًا من السواحل الأوربية الغربية ـ خاصة فرنسا وبلجيكا وهولندا . وكان العمل يجرى بالفعل لإنشاء قواعد إطلاق الصوايخ على طول السواحل الأوروبية المطلة على بريطانيا . فى نفس الوقت الذى نجح فيه العلماء الألمان فى تطوير الصاروخ V-1 ، V-2 فى مصانع بينمونده. والانتقال إلى صواريخ أخرى بعيدة المدى .

★ ★ ★

لم يطلب أحد من ميشيل هولارد Michael Hollard ـ 45 سنة ـ مهندس التصميمات الصناعية الفرنسى الجنسية ، أن يصبح جاسوسًا ، أو أن يجمع معلومات مهمة لحساب دولة أخرى . ولكنه فعل ذلك فى محاولة فردية منه لمقاومة قوات الغزو بطريقته الخاصة ، وإنقاذ وطنه من الاحتلال النازى .

ولذلك فإن هولارد ، تمكن من عبور الحدود بين فرنسا وسويسرا عشرات المرات وهو يحمل معلومات عسكرية مهمة ، لإرسالها إلى بريطانيا عن طريق سفارتها فى سويسرا . واستطاع خلال سنوات الاحتلال ـ بمساعدة

بعض أصدقائه ـ أن يحدد المطارات العسكرية النازية فى فرنسا، وبطاريات المدافع الساحلية، وقواعد الغواصات فى الموانى الفرنسية المطلة على خليج بسكاى والمحيط الأطلنطى . بل وأمكنه تحديد تحركات فرق عسكرية كاملة، وأماكن قياداتها .

ولكنه فى هذه المرة كان يحمل سرًا رهيبًا، قد ينقذ لندن والموانى البريطانية من دمار شامل، ويقصر أمد الحرب بهدف تحرير وطنه المحتل . وكان ذلك فى صباح يوم 23 أكتوبر 1943، عندما كان يحاول التسلل عبر الحدود إلى سويسرا . وقد حمل على كتفه جوالا من البطاطس، وأمسك فى يده فأسًا صدئة، وبدا مظهره كأنه أحد القرويين فى المنطقة .

ولكن ميشيل كان قد أخفى فى داخل بعض ثمار البطاطس أوراقًا صغيرة ورسومات تخطيطية لأماكن قواعد إطلاق الصواريخ الألمانية . وكانت القيادة الألمانية تخطط لضرب لندن والموانى البريطانية بحوالى 50 ألف صاروخ من طراز V-1، V-2 بمعدل خمسة آلاف صاروخ كل شهر من الساحل الفرنسى، وبخلاف الصواريخ الأخرى من السواحل الشمالية .

أخذ ميشيل يتنقل بين أشجار الغابات، وهو يرتقى التلال المرتفعة لجبال الألب . ويحاول قدر استطاعته تحاشى الاصطدام بالدوريات الألمانية والكلاب البوليسية المدربة . فضلاً عن طائرات الاستكشاف المستمرة . وكان يدرك أهمية ما يحمله من أسرار، حيث أحاط الألمان استعدادات إطلاق الصواريخ بالسرية الكاملة . واستخدموا فى ذلك أسرى من روسيا وبولندا لا يعرفون اللغة الفرنسية . وقد أوشك العمل على الانتهاء من بناء مائة قاعدة إطلاق خرسانية . وكان يعلم أنه سوف يُعدم بعد تعذيب رهيب عند استجوابه، لو قبض عليه .

وجد ميشيل نفسه أمام بعض الأسلاك الشائكة التى تبين الحدود . فألقى بالجوال والفأس عبر الأسلاك، وأخذ يستعد لعبورها . وما كاد يفعل ذلك حتى شعر بأن شيئًا ما كالكلابات الحديدية، وقد أطبقت بشدة حول ساقه اليسرى . فتطلع خلفه بذعر، ليجد ساقه بين فكى كلب ألمانى من كلاب الحرب المدربة .

لم يستطع ميشيل أن يتحرك على الإطلاق، ولكن كان عليه أن يفعل، قبل أن يصل رجال الدورية الألمان إلى مكانه . ولم يكن يحمل أى سلاح، إذ إن ذلك يثير الشك

عند القبض عليه . ووجد ميشيل عصا طويلة فى متناول يده ، فأمسك بها ، وأخذ يدفعها بين فكى الكلب ، ثم إلى مجرى التنفس والقصبة الهوائية . ومرت لحظات طويلة ولم يحدث شىء ، وأخيرًا تراخت عضلات الكلب ، ثم سقط جثة هامدة .

بعد أيام من عبور ميشيل الحدود السويسرية ، أغارت المئات من قاذفات القنابل التابعة للحلفاء على قواعد إطلاق الصواريخ فى فرنسا وبلجيكا وبطول الساحل الغربىّ لأوروبا . كما أغارت على مصانع الصواريخ فى بينموندە وغيرها وحولتها إلى جحيم . ولم يستطع الألمان سوى إطلاق 2500 صاروخ فقط ، بدلاً من الآلاف التى كان من المقرر إطلاقها . ولكن من قواعد متحركة من الصلب ، مركبة فوق سيارات طويلة خاصة .

* * *

كان ميشيل رجلاً بسيطًا للغاية ، ويعيش حياته فى هدوء ، ولم يشترك فى منافسات سياسية أو حزبية ، بل كان أبعد ما يكون عن مثل هذه الاهتمامات المثيرة للجدل والخلاف . وكان يعمل فى قسم الأبحاث فى إحدى

الهيئات الصناعية الفرنسية ، فلما احتل الألمان عاصمة بلاده ، وبدأت الهيئة التى يعمل بها توظف إمكانياتها لتلبية مطالب الألمان الصارمة ، شعر بأن مرحلة أخرى من حياته يجب أن تبدأ ، وترك عمله فى الهيئة الفرنسية احتجاجًا على تعاونها مع القوات المحتلة .

التحق ميشيل بعد ذلك بإحدى الشركات الفرنسية التى تنتج مولدات كهربية ، تعمل بالغاز المستخرج من الفحم النباتى . وقد أتاح له هذا العمل التردد كثيرًا على مناطق الغابات للبحث عن أخشاب لتحويلها إلى فحم . ثم بدأ يجمع بعض المعلومات عن قوات الاحتلال مع خمسة من أصدقائه ، أطلقوا على أنفسهم اسم « شبكة العمل » . ولكن هذه الشبكة تضخمت حتى أصبحت فى نهاية الحرب العالمية الثانية ـ فى مايو 1945 فى جبهة أوروبا ـ حوالى 120 شخصًا . اعتقل الألمان منهم حوالى 20 شخصًا وحكم عليهم بالإعدام . وكان ميشيل يتولىَ بنفسه نقل هذه المعلومات المهمةَ عبر الحدود ، إلى السفارة البريطانية فى سويسرا .

كان أهم الأعمال التى حققتها « شبكة العمل » هو الكشف عن المشروع السرى لإنشاء قواعد إطلاق

الصواريخ الألمانية . إذ كان ميشيل يجلس مع صديق له فى إحدى المقاهى بمدينة روان Rouen فى غرب فرنسا ، وذلك فى شهر أغسطس 1943 ، حينما سمع اثنين من الفرنسيين يعربان عن دهشتهما لكميات الأسمنت غير العادية التى يستخدمها الألمان على طول الساحل الغربى الفرنسى المطل على المحيط الأطلنطى .

فى اليوم التالى توجه إلى مدينة إيفتوت Yvetot القريبة من الساحل ، وقد ارتدى زيًا عماليًا ، وأخذ يطوف فى المناطق والطرق الريفية حول المدينة . وقادته قدماه بالصدفة إلى أرض واسعة ، يعمل فيها مئات من الرجال فى الحفر وصب الأسمنت والبناء .

أمسك ميشيل بعربة يد وحملها بالطوب ، واندمج بين العمال دون أن يدرى به أحد . فقد كانوا جميعًا لايعرفون الفرنسية . واسترعى انتباهه مجموعة من الحفر المستطيلة ، طول كل منها 45 مترًا ، وقد بُطنت بالأسمنت المسلح ، وحولها حواجز من الحبال الزرقاء . وعلم أن الألمان يستخدمون العمال على مدار الساعة فى ورديَات ، كل منها ثمانى ساعات . واستطاع ميشيل أن يلقى نظرة

خاطفة على المكان قبل أن يغادره ، وقد تبين له أن جميع الحفر ـ طبقًا لمدار الشمس ـ تتجه نحو بريطانيا . وخلال أيام كان أمر الحفر الغامضة قد وصل إلى لندن .

كانت هناك أنباء أخرى من شمال ألمانيا حول المصانع السرية التى أقيمت بالقرب من ميناء بينموند فى أقصى الشمال ، لإنتاج «طائرات بدون طيارين» . كما أن أحد الدينماركيين عثر على شاطئ بورنهولم على «طائرة صغيرة بدون كابينة ، وإن كان لها جناحان ونيل . وبدون محركات مروحية ، ولكن مجرد أنبوب خلفى فوق الجسم لدفع الهواء !»

أخذ القلق ينتاب قيادة قوات الحلفاء فى لندن مما يخبئه الألمان . إذ يبدو أن القيادة الألمانية تجهز مجموعة من الأسلحة السرية الهجومية لمفاجأة قوات الحلفاء . فلما جاء تقرير ميشيل ، كان له وقع القنبلة فى قيادة الحلفاء . وكان الرد فوريًا ، إذ طلب مندوب المخابرات فى السفارة البريطانية فى سويسرا من ميشيل ، أن يترك كل الأعمال الأخرى ويركز جهوده على هذه « الحفر المستطيلة » طبقًا للأوامر .

قام ميشيل مع بعض أصدقائه بجولات مختلفة على

طول الساحل الشمالى الغربى بالدراجات . وخلال ثلاثة أسابيع ، كانوا قد تمكنوا من تحديد أماكن أكثر من ستين موقعًا سريًا لإطلاق الصواريخ . ثم اكتشفوا المزيد منها فى الأشهر التالية . وكانت كلها تقع قرب الساحل الفرنسى فى شريط طوله حوالى 300 كيلومتر وعرضه 50 كيلومترًا ، وتتجه نحو بريطانيا . وقد تمكن ميشيل عن طريق صديق له أن يحصل بالصدفة على رسم كروكى للمشروع الرئيسى فى أحد المواقع . وبالترتيب مع رسومات أخرى ، تبين لميشيل أن البناء الضخم يتضمن ستة قطاعات منفصلة وموازية للساحل . وكانت تلك الرسومات والمعلومات ، هى التى أخفاها ميشيل فى جوال البطاطس ، عندما أطبق الكلب الألمانى على ساقه .

* * *

أصرّ المسئولون فى السفارة البريطانية فى سويسرا ، على أن يبقى ميشيل هناك للراحة . فقد أدى دوره ، ووصلت المعلومات إلى لندن ، وأغارات القاذفات على المنطقة المحددة وأحالتها إلى أنقاض على مدار أيام متتالية . وقد شعر ميشيل للحظات بأنه يود أن يفعل ذلك ، فقد كان

مرهقًا للغاية ، وقد عاش حياته طوال سنوات الحرب فى ظل الخوف من القبض عليه . ولكنه فى النهاية عاد إلى زملائه وأصدقائه فى فرنسا .

وبسبب التعذيب الوحشى الذى تعرض له صديق بعد أشهر قليلة ، اعتقل ميشيل مع ثلاثة من رجاله . ومات أحدهم فى أثناء الاعتقال ، ثم أفرج عن الاثنين الآخرين بعد أشهر ، دون أن يذكرا شيئًا للألمان برغم التعذيب . وأرسل ميشيل إلى معسكر الاعتقال فى نيونجهام بألمانيا .

قرب نهاية الحرب ، أخلى الألمان معسكر الاعتقال ، ووضعوهم فى عنابر السفن ، التى تركوها تنجرف مع التيار فى بحر الشمال على غير هدى ، إذ من المؤكد أن قاذفات الحلفاء سوف تغرقها بالقنابل . وكان من حظ ميشيل أن نقل فى اللحظة الأخيرة إلى سفينة تابعة للصليب الأحمر .

فى نفس الوقت تمكن الجيش رقم 21 ، بقيادة الفيلد مارشال مونتجومرى من اجتياح السواحل الألمانية ، وحتى ميناء هامبورج فى الشمال . وجرى إنزال الأسرى من السفن لعلاجهم ورعايتهم .

بعد أن قضى ميشيل هولارد أسابيع طويلة فى المستشفى ،

واسترد صحته ، أرسلت بريطانيا طائرة خاصة لنقله من هامبورج إلى لندن . حيث منح فى حفل خاص ، وسام الخدمة الممتازة ، وهو أرفع وسام عسكرى بريطانى يُمنح لغير مواطنيها . ثم حملته طائرة خاصة إلى باريس ، لينال وسامًا آخر هناك .

وقد قال الجنرال الأمريكى دويت أيزنهاور ـ قائد قوات الحلفاء فى أوروبا ـ أنه لو كان الألمان قد تمكنوا من استخدام هذه الصواريخ ، لكان احتمال غزو الحلفاء لأوروبا فى عداد المستحيل .

والصاروخ V-2 يزن 12.5 طن ، منها تسعة أطنان للوقود والأكسجين السائل ، ورأس متفجر زنة نصف طن . وكان الوقود يحترق كله خلال 60 ثانية ، مما يسمح للصاروخ بالارتفاع 96 كيلومترًا ، بسرعة 5600 كيلومتر فى الساعة ، ليسقط فوق لندن بالضبط . أو فوق المدينة أو الميناء الموجه إليه .

بتصرف مختصر عن المصدر :

War Monthly Magazine, By George Martel, dated Oct. 1983

Standard House, Bonhill Street, London EC 2 A - 4 DA. England.

٢ ـ حينما وقعت سفينة التجسس فى الأسر ..

[بقلم : لاودون وينرايت]

مثل هذه السفن تجوب البحار والمحيطات ، وهدفها هو الاستطلاع الإليكترونى قرب السواحل . بعضها تابع لروسيا ؛ باعتبار أنها سفن صغيرة للصيد فى أعالى البحار ، ولكنها مزودة فى طوابقها السفلية بأجهزة إليكترونية للتنصت على الاتصالات ، وتحديد ترددات الرادارات ، ورسم السواحل وقياس الأعماق وغيرها من أعمال التجسس فى المياه الدولية ، حيث لا يمكن اعتراضها .

وقد اتبعت الولايات المتحدة الأمريكية نفس الأسلوب ، حيث جهزت مجموعة من السفن الصغيرة بالأجهزة الإليكترونية الأكثر تطورًا . وعندما كانت حرب يونيو مندلعة فى سيناء ، تقدمت السفينة الأمريكية ليبرتى Liberty نحو الشاطئ الشمالى لسيناء ، للتنصت على الاتصالات العسكرية لكلا الجانبين المصرى والإسرائيلى . وفى ظهيرة يوم 8 يونيو 1967 قامت الطائرات الإسرائيلية وزوارق الطوربيد بضرب السفينة ليبرتى ، برغم أنها

ترفع العلم الأمريكى . وذلك لمنعها من توصيل فكرة شاملة عن العمليات العسكرية الجارية للإدارة الأمريكية ، وحتى الانتهاء من الجريمة ! وقتل من جراء ذلك 43 ضابطا وبحارًا ، من 73 شخصًا كانوا على متنها . واعتبر الحادث خطأ غير مقصود . وقد أغرقت السفينة ليبرتى بعد ذلك فى 17 أغسطس 1970 فى خليج المكسيك ، وهى تحمل 67 طنًا من غاز الأعصاب القاتل على هيئة قنابل .

وفى نوفمبر 1967 ، كادت السفينة الأمريكية باتر Banner ـ وهى من سفن التجسس الصغيرة ـ أن تلقى مصيرها غرقًا فى المياه الدولية فى بحر الصين . حيث عمدت السفن الحربية الصينية ، على القيام بمناورات بحرية عنيفة فى نفس منطقة تواجد السفينة . مع قيام الطائرات بإسقاط قنابل الأعماق بالقرب منها . حيث عادت السفينة إلى قاعدتها فى اليابان ، بعد أيام طويلة من « المضايقات » الخشنة .

وفى يناير 1968 ، قامت القوات البحرية التابعة لكوريا الشمالية بأسر السفينة الأمريكية بويبلو Pueblo ، بعد إطلاق النار عليها ـ وجرى أسر طاقمها ومحاكمتهم بتهمة

التجسس ، حيث حكمت عليهم المحكمة العسكرية بالسجن لمدد طويلة . وجرت مفاوضات سرية طويلة ، كان من أثرها « العفو عن السجناء » ، وإطلاق سراحهم بعد 11 شهرًا فى السجن . أما السفينة المجهزة فلم تعد حتى الآن .

لم يكن هناك أحد يعرف ما الذى جرى بالضبط . ثم بدأت الوقائع . تتكشف بعد ذلك عندما أخذ الكومندر «مقدم بحرى » لويد بوكر Lloyd Bucher ـ قبطان السفينة ـ بالإدلاء بشهادته أمام لجنة تحقيق مشكلة من خمسة أدميرالات ـ فريق أول بحرى ـ فى الترسانة البحرية فى كورونادو Coronado بولاية كاليفورنيا الأمريكية ، فى يناير 1969 . ثم أمام لجنة خاصة فى الكونجرس الأمريكى ـ البرلمان ـ ثم أمام محكمة عسكرية .

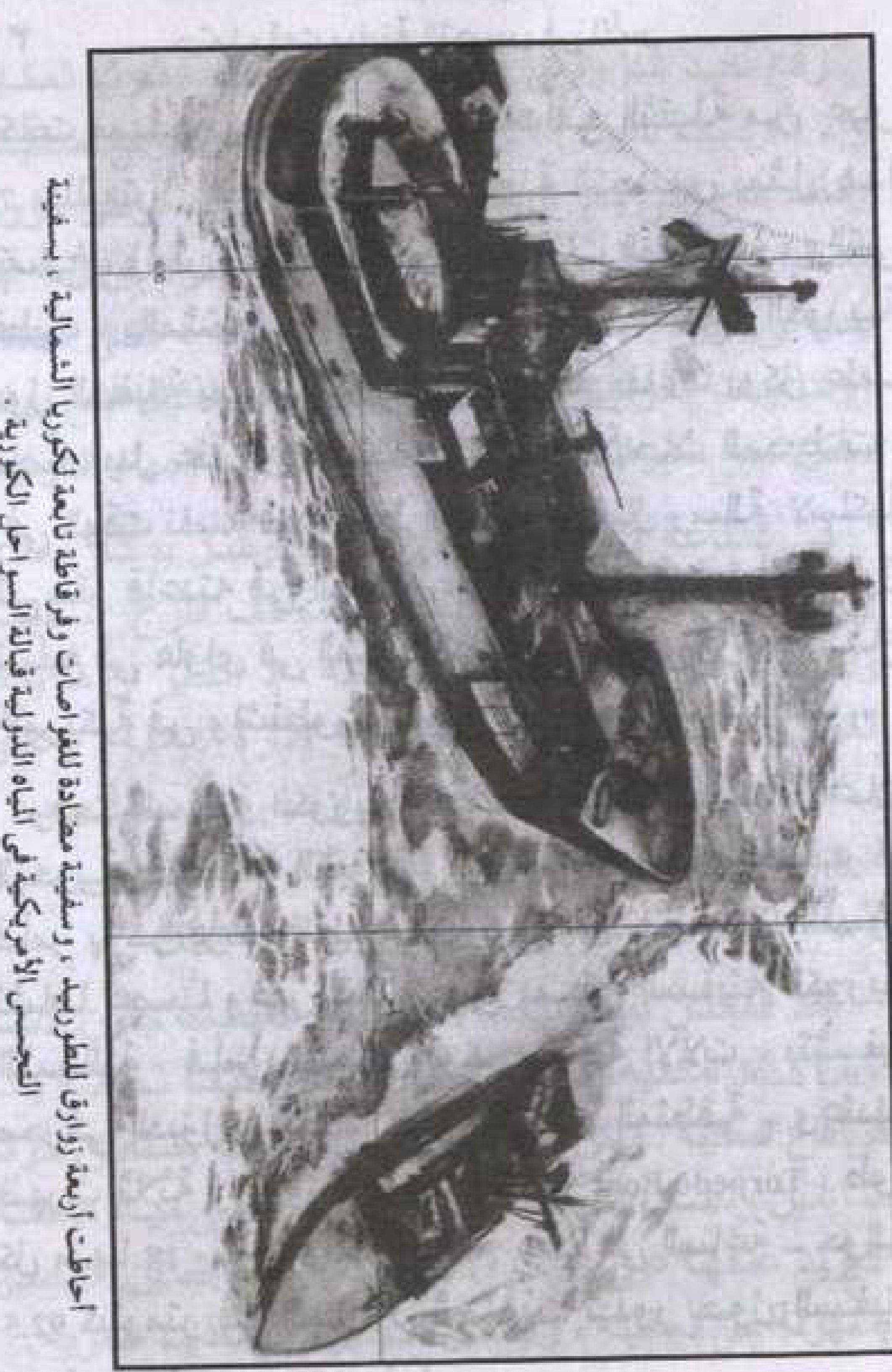
★ ★ ★

فى 11 يناير 1968 أبحرت سفينة « جمع المعلومات الإليكترونية » Elint من قاعدتها البحرية فى اليابان ، متجهة فى مهمة خاصة فى مياه كوريا الشمالية . وفى

ظهيرة يوم 23 يناير ، كانت السفينة بويبلو ، تقف فى خليج تونج جوسون Tong Joson وعلى بعد 16 ميلاً بحريًا - 29.63 كيلومتر - من شبه جزيرة هادو - باندو Hado - Pando ، وجزيرة أونج - دو Ung - Do الصغيرة القريبة منها .

كان جميع البحارة وطاقم السفينة يرتدون ملابس مدنية باعتبار السفينة خاصة بأبحاث المحيطات . وكان القبطان بوكر جالسًا فى منصة القيادة ، وقد ارتدى ملابس ثقيلة تحميه من برودة الجو . وقد دلّى بعض البحارة بضع زجاجات ، وكأنهم يجمعون عينات من مياه المحيط . ثم جاءت الأنباء من غرفة الرادار بأن سفينة سريعة تقترب منهم . وسرعان ما ظهرت سفينة طولها حوالى 45 مترًا ، قادمة من ناحية الشمال بسرعة 28 عقدة - العُقدة تساوى 1.852 كيلومتر فى الساعة وهى مقياس للسرعة . وكان على سطحها مجموعة من الضباط يحدقون بالمناظير المكبرة ، وقد وجهت مدافعها الثقيلة نحو السفينة الصغيرة ، من على بعد 500 متر .

كانت السفينة الكورية الشمالية مضادة للغواصات Subchaser ،



أحاطت أربعة زوارق للطوربيد ، وسفينة مضادة للغواصات وفرقاطة تابعة لكوريا الشمالية ، بسفينة التجسس الأمريكية فى المياه الدولية قبالة السواحل الكورية .

وكانت مسلحة بمجموعة من المدافع الثقيلة من عيار 75 ميلليمترًا . بينما لم تكن سفينة التجسس بمثل هذا التسليح ، وليس أكثر من بعض الرشاشات المتوسطة ، والتى غطيت «بالمشمعات» السميكة . ودارت السفينة الكورية حول السفينة بويبلو عدة دورات . رفع أثناءها بوكر علمًا خاصًا ، يدل على أن سفينته مخصصة لأبحاث المحيطات . وفى الوقت نفسه قام ضابط السطح بإرسال رسالة لاسلكية إلى مقر قاعدته فى اليابان ، وإلى مقر قيادة الأسطول السابع فى هاواى فى المحيط الباسفيكى ، وإلى وزارة الدفاع الأمريكية فى واشنطون ، ليبلغ هذه الجهات بالموقف .

رفعت السفينة الكورية علمًا ـ طبقًا لإشارات الأعلام البحرية ـ تطلب التعريف بجنسية السفينة الصغيرة . فأمر بوكر برفع العلم الأمريكى ، ولاحظ على الفور نشاطًا عصبيًا وغير عادى فوق سطح السفينة الكورية الشمالية . فأمر القبطان بوكر غرفة الآلات ، بتشغيل محركى الديزل استعدادًا للرحيل عن المنطقة . وعندئذ ظهرت ثلاثة زوارق طوربيد سريعة Torpedo Boat ، طول كل منها 18 مترًا ، وبسرعة 50 عقدة فى الساعة ـ حوالى 92.5 كيلومتر فى الساعة . ثم أخذت تدور حول السفينة بويبلو ، على بعد 150 مترًا .

رفع أحد الزوارق علمًا خاصًا معناه «اترك المكان ، وإلا تعرضت للنيران !» . فقام بوكر بفحص موقع سفينته ، وتأكد أنه على بعد 16 ميلاً بحريًا من أقرب أرض كورية شمالية ـ الميل البحرى يساوى 1.85 كيلومتر . أى أنه أبعد بحوالى أربعة أميال عن المياه الإقليمية ، التى تحددها الاتفاقيات الدولية بـ 12 ميلاً بحريًا . ولذلك أبلغ بوكر معترضيه ـ بواسطة الأعلام أنه يقف فى المياه الدولية .

فى الساعة 12.52 من بعد الظهر أرسل بوكر رسالة إلى مقر قيادته فى اليابان ، يبلغها بالموقف اللزج لسفينته . وقال فيها إنه ينوى البقاء فى مكانه ، إذ اعتبر أن مايفعله الكوريون الشماليون مجرد محاولات لإثارة فزعه . وعنون رسالته بكلمة «حرج» Critic ، أى أن نص الرسالة يجب أن يذهب فى الحال إلى غرفة المراكز والعمليات فى بدروم البيت الأبيض ـ مقر الرئيس ـ فى واشنطون .

أخذ القبطان بوكر يبحث مع ضابط العمليات جون لاسى John Lacy إمكانية إغراق السفينة بفتح الطابات الخاصة بذلك فى قاع السفينة . ولكن تأكد لهما أن هذا الأمر قد يستغرق حوالى ساعتين ونصف الساعة . ثم إن السفينة فى مياه ضحلة ، لايزيد عمقها على 55 مترًا ، حيث يمكن للغواصين الوصول بسهولة إلى السفينة ، وانتشال الأجهزة والمعدات السرية .

وتساءل ضابط العمليات ، إن كان القطبان يود إعلان حالة الطوارئ فى السفينة ، والكشف عن المدافع الرشاشة المغطاة على السطح تمهيدًا لاستعمالها . ولكن بوكر رفض الفكرة ، إذ إن ذلك ـ فى رأيه ـ سوف يحول حالة التحرش الخشنة ، إلى حادثة دموية متفجرة . وبدلًا من ذلك أمر بالاستعداد لتدمير كل الوثائق السرية والأجهزة الإليكترونية .

لم يكن هناك خطة لعملية التدمير . وقد طلب بوكر مرارًا من قيادته تزويده بالمتفجرات اللازمة لتنفيذ ذلك عند الطوارئ ، كما طلب تركيب مدافع ثقيلة على سطح السفينة للدفاع عن النفس ، ولكن دون جدوى . وبدلًا من ذلك زودوه ببعض المطارق والبُلط axes ، مع ماكينتين لتمزيق الأوراق السرية ، ورقة ورقة .

كما أن السفينة فى الواقع كانت مقسمة إلى قسمين ، قسم تابع للقبطان بوكر باعتباره قائد السفينة ، حيث يتبع قيادة البحرية الأمريكية . وقسم آخر فى العنابر السفلية بقيادة الملازم بحرى ـ تعادل نقيب ـ ستيفن هاريس Staphen Harris ويضم الأجهزة السرية . ولم يكن يسمح للبحارة أو حتى القبطان نفسه بدخول هذا القسم . ولذلك لم يكن لدى بوكر فكرة شاملة عن حجم وأهمية الأجهزة على سطح سفينته ، حيث إنها بالغة السرية وتابعة لوكالة الأمن القومى NSA فى فورت ميد ، بولاية ميريلاند .

فى الساعة الواحدة من بعد الظهر ، أخذت طائرتان من طراز ميج ـ Mig 19 تحلقان فى دوائر فوق السفينة بويبلو . بينما اقتربت زوارق الطوربيد لمسافة 50 مترًا . فأرسل بوكر برقية عن نيته لمغادرة المكان . وفى اللحظة التى اقترب فيها أحد الزوارق من الجانب الأيمن لمسافة خمسة أمتار ، وعلى سطحه مجموعة من الجنود ببنادقهم استعدادًا للصعود على سطح السفينة ، أمر بوكر بالانطلاق بأقصى سرعة ، وهى على أية حال 13 عقدة فقط . رافعًا علم مغادرة المكان . عندما بدأت السفينة بويبلو تأخذ سرعتها الكاملة ، وصل إلى المكان زورق طوربيد رابع ، وكذلك فرقاطة أخرى للمكان Frigate . وأخذ زورقان يقومان بمناورات متقاطعة أمام السفينة ، بينما يتبعها الزورقان الآخران . ولم يرسل القبطان أحدًا للكشف عن المدافع الرشاشة وتجهيزها للإطلاق ، فقد كان ذلك يعنى إرسال البحارة إلى موت محقق . بعد دقائق قليلة ، أطلقت الفرقاطة دفعة من نيران مدافعها Salvo ، من على بعد ألفى متر . فأصابت الدانات رادار السفينة وهوائى الراديو على السطح . كما انتشرت الشظايا وأصابت ثلاثة أشخاص كانوا فى منصة السفينة ، بما فيهم القبطان . وعلى الفور أمر بوكر بإجراء عملية التدمير للوثائق والأجهز السرية ، كما أمر بإرسال رسالة استغاثة على موجات الطوارئ .

أخذت إحدى طائرات الميج فى إطلاق مدافعها الرشاشة على سطح بويبلو لقتل من عليها . كما أطلقت أربعة صواريخ فى المياه أمام مقدمة السفينة . واقترح ضابط العمليات وقف سير السفينة ، لوقف إطلاق النار عليها . مما يسمح للرجال بتدمير الأجهزة وحرق المستندات . فوافق الكابتن على ذلك ، وقرر فى تلك اللحظة الاستسلام منعًا لوقوع مذبحة لطاقم السفينة .

انطلق الكابتن بوكر إلى غرفته لحرق بعض الوثائق السرية ، ثم صعد إلى غرفة الشفرة وتأكد من إتلاف وحرق كل البرقيات ، بما فيها كتاب الشفرة السرية . ثم هبط إلى باقى أقسام السفينة حيث كان الدخان يتصاعد من كل مكان . ولكنه عندما توجه إلى القسم السرى فى السفينة ، وجد هناك كمًّ هائلاً من الأوراق على الأرض . بينما أخذ الرجال يحطمون الأجهزة بالمطارق والبلط الحادة ، وكان لابد من إعطائهم المزيد من الوقت لإتمام المهمة .

رفعت الفرقاطة علمًا معناه « اتبعنى » ، فاستدارت السفينة بويبلو ببطء نحو الشاطئ الكورى الشمالى ، ولكن بسرعة بطيئة للغاية . ثم توقفت لإعطاء الرجال الوقت اللازم لإتمام عملية التدمير والحرق . ولكن السفينة

المضادة للغواصات أطلقت ثلاث دانات على السفينة . فقتلت إحداها البحار دون هودجز ، مما اضطر بوكر لإعطاء الأمر باستئناف المسير . وأرسل رسالة لاسلكية أخيرة ، بأن سفينته تتجه نحو ميناء وونسان Wonsan ، وأن لديه ثلاثة جرحى ، ووفاة بحار .

أثار موقف القبطان بوكر جدلاً شديدًا بين مؤيد ومعارض . وتصاعدت أسئلة كثيرة وقاسية بين قيمة الحياة وبين أداء الواجب . وبين التضحية بالنفس ، أو التضحية بسمعة الوطن وكبريائه . فقد كانت السفينة بويبلو هى الوحيدة ضمن سفن الأسطول الأمريكى ، التى جرى أسرها فى حالة السلم ، دون أن ترد على النيران ، أو حتى تطلق طلقة واحدة . ورأى البعض أن بوكر قد تصرف بشكل عاطفى لايليق بالمحاربين ، حين حاول الحفاظ على حياة طاقمه ، ولكنه لم يحافظ على سفينته ، وهى رمز قومى .

بتصرف عن المصدر :

Time Magazine, By Loudon Wain Wright. Dated May 1973 .

Rockefeller Center, New York, 10020 U.S.A

سفينة التجسس الأمريكية بويبلو ، فى ميناء دونسان فى كوريا الشمالية ، بعد أسرها .

٣ ـ شبكة الجواسيس فى المخابرات البريطانية ..

[بقلم : كارل ماير]

فى نوفمبر 1979 ، وقفت السيدة مارجريت تاتشر ـ رئيسة مجلس الوزراء البريطانى فى ذلك الوقت ـ فى مجلس العموم « البرلمان » ، وألقت بقتبلة انفجرت وسط أعضاء المجلس ، أصابت شظاياها كل الشعب البريطانى ، وكان ذلك ردًا على « استجواب » من عضو البرلمان جورج توماس عن حزب العمال المعارض .

قالت تاتشر إن « الرجل الرابع » فى حلقة التجسس داخل المخابرات البريطانية ، والتى بدأ اكتشافها عام 1951 ، هو البروفيسور أنتونى بلونت Anthony Blunt ، مستشار الملكة إليزابيث الثانية لشئون المتاحف والصور الفنية . وتبين من رد رئيسة الوزراء أن جهاز مخابرات الأمن الداخلى « إم . آى . 5 » يعرف هذه الحقيقة منذ عام 1964 . وأن جهاز المخابرات الخارجية « إم . آى . 6 » استخدمه كعميل مزدوج . وأن كل هذه المعلومات أحيطت بسرية تامة ، حتى إن رؤساء الوزارات المتعاقبة لم يعلموا بها ، برغم أنهم مسئولون قانونًا عن أعمال المخابرات . وتصاعدت الأسئلة الغاضبة ، من يحكم بريطانيا بالفعل ؟

بدأت القصة الغريبة عام 1951 ، عندما بدأت المخابرات المركزية الأمريكية CIA ، بالتعاون مع جهاز خدمة المخابرات السرية SiS البريطانى ، فى تعقب العملاء الشيوعيين داخل أجهزة البلدين السرية ، بعد ازدياد تسرب المعلومات . واتجهت الشكوك نحو دونالد ماكلين Donald Maclean ، وزميله جاى بورجيس Guy Burgess ، اللذين يعملان فى السفارة البريطانية فى واشنطون كدبلوماسيين . ولكنهما فى الحقيقة ضابطان فى جهاز الخدمة الخارجية Foreign Service . وقد جرى سؤالهما عدة مرات فى بعض الوقائع من قبل لجنة أمريكية بريطانية مشتركة . ولكن قبل ساعات من ملاحقتهما والقبض عليهما ، فرا إلى الاتحاد السوفييتى السابق ـ روسيا ـ فى مايو 1951

واتجهت الشكوك بعد ذلك إلى كيم فيلبى Kim Philby ، ضابط الاتصال بين المخابرات البريطانية والأمريكية منذ عام 1950 . وفى عام 1952 جرى «سؤاله» فى مقر جهاز المخابرات السرية البريطانية SiS . ولكنه أنكر كل الوقائع التى عرضت عليه ، حيث إنه يعرف بحكم منصبه ، أنه فى عالم الجاسوسية فإنه من النادر التحقيق فى الوقائع ، وليس هناك شىء يمكن أن يطلق عليه اسم «البرهان أو الإثبات» . ولكن مهنته فى عالم المخابرات البريطانية كانت قد انتهت ، بعد الشكوك التى أحاطت به .

ومن الغريب أن فيلبى شغل مناصب مهمة فى المخابرات البريطانية ، حيث عمل فى المخابرات السرية SiS منذ التحاقه بذلك العالم عام 1940 . ثم شغل منصب رئيس قسم الجاسوسية الخارجية فى جهاز المخابرات الخارجية M.I.6 عام 1944 . وتمكن فى منصبه هذا من حماية المجموعة التى تعمل معه لحساب المخابرات الروسية «كيه . جى . بى» KGB . وجميعهم من اليساريين الشيوعيين ، الذين تم تجنيدهم فى أثناء دراستهم فى جامعة كامبريدج Cambridge البريطانية . ثم شغل منصب رئيس القسم المضاد للجاسوسية Counterespionage فى المخابرات البريطانية الخارجية M.I.6 . ثم تولى منصب ضابط الاتصال بين أجهزة المخابرات البريطانية والأمريكية فى واشنطون . وبهذه الصفة تمنح تصريحًا لدخول أجهزة المخابرات الأمريكية ، وكذلك المناطق الممنوعة لإجراء الاختبارات النووية ومعامل الأبحاث وغيرها . وكان الوحيد فى العالم ، الذى لا يتمتع بالجنسية الأمريكية ، ويحمل مثل هذا التصريح الخطير .

وبعد استبعاده من المخابرات البريطانية M.I.6 . عام 1952 ، استخدمته بعد ذلك فى منطقة الشرق الأوسط . ولكن تحت غطاء عمله كصحفى مقيم فى العاصمة اللبنانية بيروت ، ومندوب لصحيفتين بريطانيتين فى المنطقة ،

مما أتاح له فرصة التجوال فى دول المنطقة بحرية باعتباره صحفيًا . وفى يناير 1963 ، ظهرت معلومات جديدة ، يمكن أن تدين فيلبى ، وترقبت المخابرات البريطانية عودته إلى لندن . ولكنه علم بطريقة ما بما يجرى حوله ، فاختفى فجأة من بيروت ، ثم ظهر بعد أشهر فى موسكو . مما أثار ضجة كبيرة ، عرفت وقتها باسم «فضيحة العصر» .

بدأت أجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية المختلفة ، فى التحقيق فى الأمر . وأشارت التحقيقات المثيرة ، إلى أن هناك « رجلا رابعًا » فى شبكة التجسس فى المخابرات البريطانية .

مع الوقت ، ظهر أن الرجل الرابع هو أنتونى بلونت Anthony Blunt مستشار الملكة للشئون الفنية . جرى استجواب بلونت فى أبريل 1964 ، فَوُوجِهَ بالأدلة التى يمكن أن تدينه . فاعترف بكل شىء ، وذكر معلومات مهمة عن نظام المخابرات الروسية ، وطرق عملها فى التجسس وجمع المعلومات . وقبل التعاون مع المخابرات البريطانية «إم . أى . 6» كعميل مزدوج . وعلى هذا الأساس ، وافق المدعى العالم البريطانى فى ذلك الوقت السير جون



كيم فيلبى - الجاسوس البريطانى - يقضى أجازة فى غابات سيبريا بروسيا بعد هروبه .

هويسون على عدم رفع الدعوى العمومية ضد بلونت . وجرى حفظ الاتهامات الموجهة ضده ، بناءً على تعليمات رسمية من المخابرات البريطانية الخارجية M.I.6 .

بدأت المخابرات البريطانية فى استخدام بلونت كعميل مزدوج ، لإرسال معلومات خاطئة ، ومكافحة التجسس . وعلمت الملكة إليزبيث بالموضوع رسميًا عن طريق سكرتيرها الخاص السير مايكل آدين . وقبلت الاحتفاظ بوضع بلونت فى وظيفته فى البلاط الملكى لخداع المخابرات الروسية KGB .

ولكن المخابرات الروسية شعرت بأن هناك شيئًا ما قد حدث ، وأن المعلومات التى يرسلها بلونت غير صحيحة كما كانت من قبل . فبدأت من الإقلال من الاعتماد عليه . وكان بلونت قد عمل فى المخابرات الداخلية M.I.5 لفترة طويلة ، قبل انتقاله للعمل كمستشار للملكة .

ويرجع الفضل فى الكشف عن بلونت ، إلى الكاتب البريطانى أندرو بويل ، الذى نشر كتابًا فى الولايات المتحدة عام 1979 بعنوان « جو الخيانة » . حيث استمد معلوماته الغزيرة من وثائق الأرشيف القومى الأمريكى بواشنطون ، عملاً بقانون حرية الاستعلام أو الاطلاع . وبناءً على معلومات الكتاب ، تقدم

عضو مجلس العموم باستجواب إلى رئيسة الوزراء البريطانى ، التى أحالته إلى الجهات المختصة لإعداد الرد عليه .

قالت السيدة تاتشر بعد ذلك إنها «صُدمت» من الحقائق التى وضعت بين يديها ، تمامًا مثلما صُدم كل فرد من الشعب البريطانى . لذلك قررت إعلان الحقيقة كاملة أمام مجلس العموم . ولم يعُد من الممكن تقديم الخائن إلى المحاكمة ، بعد 15 سنة من اعترافه الكامل .

وحماية أجهزة المخابرات له طوال هذه الفترة ، لاستخدامه كعميل مزدوج Double Agent ضد المخابرات الروسية . كما أن المدعى العام جمد التهم الموجهة إليه اصلا عام 1964 . وكل ما حدث أن أسقط عنه رتبة « الفارس » الشرفية ، التى كانت الملكة قد منحتها له عام 1956 .

ولقد عُرف بعد ذلك أن هذه المجموعة من الجواسيس البريطانيين كانوا زملاء فى جامعة كامبريدج . وأنهم تأثروا إلى حد كبير بالفكر الشيوعى ، ولذلك أجروا اتصالات سرية مع رؤساء الحركة الدولية الشيوعية «الكومنتيرن» وهى الحركة التى أسست عام 1919 لتضم إليها الشباب العالمى . ثم حُلت عام 1943 خلال الحرب العالمية الثانية ، كبادرة لحسن النية حيال الحلفاء ، ثم أعيد تشكيلها مرة أخرى عام 1947 باسم «الكومينفورم» حيث حُلت نهائيًا بعد انهيار الاتحاد السوفيتى فى ديسمبر 1991 .

ولكن المخابرات المركزية الأمريكية كانت تشير دائمًا إلى وجود «رجل خامس» ضمن شبكة الجواسيس البريطانيين. واستمر هذا اللغز طويلاً، إلى أن قام ضابط المخابرات الروسى أوليج جورديفسكى Oleg Gordievsky ـ الذى لجأ إلى الولايات المتحدة ـ بنشر كتاب عام 1990 بعنوان «كيه جى بى: القصة الداخلية». أشار فيه إلى أن «الرجل الخامس» من خريجى جامعة كامبريدج البريطانية، وأن اسمه جون كيرنكروس John Cairncross.

وبالفعل كان هناك شخص بهذا الاسم من خريجى الجامعة، وكان يعمل فى المخابرات البريطانية الخارجية، M.I.6 كخبير فى الشفرة Cipher ولكنه غادر البلاد فى منتصف الستينات ولم يعد إليها أبدًا.

أخذ بعض الصحفيين البريطانيين يبحثون عن كيرنكروس فى كل مكان، إلى أن تمكن أحد الصحفيين من العثور عليه فى جنوب فرنسا، ونشر حديثًا مصورًا معه فى سبتمبر 1991، فى صحيفة Mail On Sunday. حيث اعترف كيرنكروس بأنه الرجل الخامس فى الشبكة البريطانية. وأن تحقيقًا قد أجرى معه فى عام 1964، وأشار فيه أنه زود روسيا

بمعلومات مهمة خلال الحرب العالمية الثانية، كدولة حليفة، وأن هذا الأمر قد انتهى بنهاية الحرب.

ومن بين المعلومات التى سربها كيرنكروس رسائل مشفرة سرية، ساعدت الجيش الروسى على وقف زحف القوات الألمانية فى كورسك Kursk عام 1943. وكذلك بعض الرسائل السرية التى تتضمن خطط الحلفاء بشأن مستقبل يوجوسلافيا، وبعض الدول الأخرى.

ولقد صدقته المخابرات البريطانية فيما جاء بأقواله، وسمحت له بعد فترة بمغادرة البلاد، حيث استقر به المقام فى جنوب فرنسا.

ولقد توفى كيم فيلبى فى موسكو عن عمر يناهز 76 سنة فى مايو 1988. كما مات جاى بورجيس فى موسكو أيضًا عام 1963، ثم زميله دونالد ماكلين عام 1975. أما أنتونى بلونت فقد اختفى تمامًا من المجتمع البريطانى ولم يعد أحد يذكر عنه شيئًا. وبالنسبة للرجل الخامس كيرنكروس فقد كان عمره 78 عامًا عندما نشرت الصحف البريطانية تحقيقات مصورة عنه عام 1991، ولا أحد يعرف عنه شيئًا.

بتصرف مختصر عن المصدر:

Der Spiegel Magazine, by Karl Meyer, dated Feb. 1992.
Brandstwiete 19, 20457, Hamburg, Germany



مقر المخابرات الروسية « كيه . جي . بي » في موسكو .



غرفة مراقبة المكالمات التليفونية فى مقر المخابرات الروسية K.G.B .

٤ ـ عندما خطط هتلر لغزو أمريكا ..

[بقلم : لورانس إليوت]

بعد أن قام الأسطول اليابانى بتدمير الأسطول الأمريكى فى هاواى فى شمال المحيط الباسفيكى فى 7 ديسمبر 1941 . أعلنت دول المحور Axis ـ وهى ألمانيا وإيطاليا واليابان ـ الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية . وأخذت القيادة الألمانية تمهد لغزو أمريكا ، ونقل الحرب إلى أراضيها ، بعد أن تنتهى القوات الألمانية من القضاء على الجيش الروسى وضرب بريطانيا ، إذ إن دول أوروبا قد أصبحت محتلة بالفعل .

وعهدت المخابرات الحربية الألمانية إلى الكابتن والتر كاب Walter Cap بتنظيم فرق للتخريب داخل الولايات المتحدة ، ليقوموا بالعمل فى الوقت المناسب . وكان الكابتن كاب قد أمضى سنوات طويلة فى الولايات المتحدة ، ويعرف الكثيرين من أبناء الجالية الألمانية هناك . وكانت خطة الكابتن كاب ترمى إلى تجنيد بعض هؤلاء الألمان المهاجرين ، خاصة وأنهم يحملون الجنسية الأمريكية ، ويعرفون لغتها ، ويسهل عليهم التحرك داخلها .

تمكن الكابتن كاب من استدراج أول مجموعة من المهاجرين الألمان ، لزيارة عائلاتهم فى ألمانيا ، وأقنع بعضهم بالعمل لخدمة « وطنهم الأول » . ومن هؤلاء اختار ثمانية أشخاص للتدريب الشاق فى إحدى الثكنات العسكرية خارج برلين ، وليكونوا رؤساء لمجموعات التخريب داخل الولايات المتحدة ، تمهيدًا للغزو .

واتفق على أن تكون وسيلة الاتصال بينهم عبارة عن إعلانات فى صحيفة « التربيون » التى تصدر فى مدينة شيكاجو الأمريكية ، حيث إن لبعض الكلمات معنى خاصًا آخر . وخطط الكابتن كاب للوصول إلى الولايات المتحدة ، لتولى إدارة شبكات التخريب ـ بعد إنشائها ـ من مقر سرى له فى شمال أمريكا فى الوقت المناسب . وقد اختار الكابتن كاب اسم أول رئيس لفوج من المهاجرين الألمان إلى الولايات المتحدة لإطلاقه على المهمة . وهكذا ظهر اسم العملية «باستوريوس» فى وثائق المخابرات الحربية الألمانية لأول مرة .

بعد انتهاء عمليات التدريب الشاقة للمجموعة الأولى المكونة من ثمانية أشخاص ، نقلهم الكابتن والتركاب

بطائرة عسكرية إلى قاعدة الغواصات الألمانية فى لورينت Lorient بفرنسا ، على خليج بسكاى والمحيط الأطلنطى .

حملت الغواصة U - 202 بعيدة المدى مجموعة من أربعة أفراد مع معداتهم الخاصة . لإنزالهم على الساحل الشمالى لجزيرة لونج أيلاند Long Island بولاية نيويورك الأمريكية . أما الغواصة الأخرى U - 201 فقد حملت الأربعة الآخرين لإنزالهم مع معداتهم قرب ساحل مدينة جاكسون فيل Jackson Ville شمال ولاية فلوريدا Florida الأمريكية .

* * *

لم يكن اختيار هؤلاء الألمان المهاجرين الثمانية مجرد حماسة وطنية ، ولكن الكابتن كاب اعتمد على مراجعة قوائم جهاز الأمن الداخلى « الجستابو » Gestapo عن كل العائدين حديثًا لزيارة عائلاتهم فى ألمانيا . وكذلك سجلات الجيش الألمانى ، والتحريات الدقيقة .

أما عمليات التدريب المكثفة خلال أيام قليلة ، فقد كانت شاقة بالفعل . بما فيها من تدريب عملى على إطلاق النار من أسلحة مختلفة ، وإشعال الحرائق وتفجير القنابل ،

والكتابة السرية ، وأجهزة اللاسلكى وغيرها . وكانت المحاضرات تشير إلى ما يمكن أن يفعله أى منهم بشراء بعض الأشياء التى لا تثير الانتباه . فالحريق الكبير يمكن أن يحدث من مسحوق السكر وحامض الكبريتيك . والكتابة السرية فى أبسطها عبارة عن قرص أسبرين يذاب فى الكحول ، فإذا جفت الكتابة اختفت بين السطور . ويمكن أن تظهر بمسحها بالكحول .

وأطلعهم الخبراء فى محطات السكة الحديد فى برلين ، كيف يمكنهم تعطيل الخطوط بشحنات متفجرة صغيرة فى أماكن محددة . وفى المصانع الألمانية عرفوا كيف يمكن قطع أسلاك كهرباء الضغط العالى ، أو تفجير محول كهربائى بطلقة مسدس . وهكذا تنقطع الكهرباء عدة ساعات عن المصنع كافية لتجميد الألومنيوم السائل مثلاً ، مما يستلزم أجهزة جديدة تستغرق أسابيع لتثبيتها .

وكانت التعليمات تقضى فى المرحلة الأولى من العملية التخريبية السرية ، بتخريب مصانع الألومنيوم بولاية تنيسى ونيويورك . ونسف الأهوسة المائية فى نهر

أوهايو . وتخريب الجسور الحديدية للقطارات والأنفاق . وتدمير محطات المياه وغيرها .

وطلب الكابتن كاب من كل فرد فى المجموعة ألا يتردد فى قتل أى زميل له فى المجموعة ، يظهر تراجعًا يعرض الباقين للخطر . ثم وزع 50 ألف دولار لكل رئيس فرقة من المجموعتين لتمويل العمليات ، ثم لكل منهم حوالى خمسة آلاف دولار . وسوف يتبعها دفعات أخرى بطريقة خاصة .

وقد لاحظ أحدهم وجود بعض الأوراق النقدية التى سُحبت من التداول منذ حوالى عشر سنوات ، حيث جرى استبدالها بسرعة . ولكن هذا الخطأ جعل الخوف يتسلل إلى قلوب الرجال الثمانية . إذ إن ما حدث يدل على قدر كبير من الغباء وعدم الدقة والاهتمام .

* * *

وصلت الغواصة U - 202 قرب الساحل الشمالى لجزيرة لونج أيلاند المستطيلة ـ التى يقع على الطرف الجنوبى منها مدينة نيويورك ـ وأخرج ضباط الغواصة قاربًا مطاطيًا أسود اللون ، وحملوا الرجال الأربعة إلى الشاطئ

مع معداتهم . ثم غادرت الغواصة المكان بسرعة وسط الضباب الكثيف .

كان ذلك بعد منتصف ليلة 14 يونيو 1942 ، حينما كان الجندى جون كالين ـ 21 سنة ـ John Calen من محطة حرس السواحل الأمريكية فى المنطقة ، يقوم بجولة على الشاطئ . وشاهد الجندى الرجال الأربعة ، فسألهم عن وجهتهم . فقال أحدهم إنهم صيادون ضلوا طريقهم فى الضباب . فطلب منهم الذهاب معه إلى المحطة التى تبعد حوالى 800 متر .

فأمسك به آخر وهدده بعنف ، ثم وضع فى يده بعض النقود ، وطلب منه أن يذهب ليقضى وقتًا طيبًا . تراجع الجندى إلى الوراء فى ذهول ، وقد أدرك أنه لن يستطيع مواجهة الموقف وحده دون سلاح . ثم جرى بسرعة نحو المحطة .

أسرع الرجال بدفن أربع حقائب لا ينفذ منها الماء ، ومملوءة بالمتفجرات تكفى للعمل التخريبى لمدة عامين ، فى خندق قرب الشاطئ حفروه بسرعة . ثم غادروا المكان فى اتجاه محطة السكة الحديد .

عاد الجندى كالين ، مع اثنين من زملائه من حرس السواحل Coast Guard وهم مسلحون بالبنادق ، ولكن



اقتربت الغواصة الألمانية من الساحل الأمريكى ، وأنزلت مجموعة من المخربين الأولى قرب نيويورك .

الشاطئ كان خاليًا وسط الضباب . وفى الصباح تمكنـوا من تمشيط المنطقة والعثور على الحقائب الأربع المدفونة ، حيث أرسلت فى سيارة خاصـة إلى مكتب التحقيقات الفيدرالى FBI . فى نيويورك ، مع تقرير بالحادث المجهول .

استقل الرجال الأربعة أول قطار فى السادسة صباحًا إلى مدينـة نيويورك . وأقام كل اثنين منهم فى فندق مختلف فى الشـارع الحادى والثلاثين . وقرروا البحث عن سيارة والعودة فى اليوم التالى ، لاستخراج الحقائب المدفونة ونقلها إلى جبال كاتسكيل Catskill شرق ولاية نيويورك ، لإخفائها هناك كما اتفقوا من قبل .

ماكاد اثنان منهم يستقران فى غرفتهما فى الفنـدق ، حتى زمجر أحدهما بعصبية ، قائلاً لزميله «إننى أشعر بالقلق ! ولدى خطة تبعدنا عن المتاعب» . فرد زميله أنه يعرف ماينوى أن يفعلـه . فقال الأول أنـه إذا لم يوافق على رأيـه ، فسـوف يضطر إلى قتله ، فطمأنه زميله على موقفـه . وهكذا حدث التحول فجـأة وبدون مقدمات» وبداية النهاية للعملية الألمانية .

فى السابعة من مساء نفس اليوم ، اتصل «جورج داش» بمكتب التحقيقات الفيدرالية فى نيويورك ، واستمع المفتـش دين هورتر إلى رجل بلكنة أجنبية يقول له إنه هبط من

غواصة ألمانية ، وأن لديه معلومات مهمة سوف يبلغها إلى مكتب التحقيقات الفيدرالية فى واشنطون خـلال أسبوع . وكتب المفتش مذكرة بالمكالمـة المجهولة ، برغم كثرة المكالمات «الخيالية» من هذا النوع ، وتابع عمله . ولكن هذه المذكرة أصبحت غاية فى الأهمية ، عندما أبلغت قيادة حرس السواحل بما حدث على شـاطئ الجزيرة ، وسلمت لمكتب التحقيقات حقائب المتفجرات .

فى نفس الوقت كانت الغواصة U-201 . تنزل الفريق الآخر على بعد 40 كيلومترًا جنوب مدينة جاكسون فيل بولايـة فلوريدا . كان ذلك فى الساعات الأولى من فجر يوم 17 يونيو 1942 . حيث دفن الرجال الأربعة حقائبهم ، وساروا نحو الطريق العام ، واستقلوا الأوتوبيس إلى المدينـة . وفى الصباح التـالى توجهوا إلى شيكاجو فى الشمال ، مصطحبين حقائبهم الثمينة .

قضى جورج داش أربعة أيام فى نيويورك ، ثم استقل قطارًا إلى واشنطون . ثم اتصل بمقـر مكتـب التحقيقـات الفيدرالية ، وقال لهم إنه الرجل الذى اتصل بفرعهـم فى نيويورك ، وإنه يقيم بأحد الفنادق .

وخلال دقائق ، توافد رجال مكتب التحقيقات على الفندق ، ثم اصطحبوه إلـى الإدارة . وظل داش يتحدث ليومين كاملين . وقد ملأت شهادته 254 صفحة على الآلة الكاتبة .

ومن المعلومات التى كان داش يدلى بها ، هرع رجال مكتب التحقيقات لاعتقال أرنيست بيرجر - زميل داش فى الفندق - وقد بدا عليه الارتياح للقبض عليه . وبعد ساعات جرى اعتقال زميليهما فى الفندق الآخر - وهما هنريك هاتيك وزميله ريتشارد كيرين - فى أثناء عودتهما من السينما .

وفى يوم 23 يونيو جرى اعتقال رئيس المجموعة الثانية - إدوارد كيرلنج - فى أثناء زيارته لزوجته فى نيويورك بعد هبوطه فى فلوريدا . وكان بصحبته زميله فيرنر ثيل .

ووضع رجال مكتب التحقيقات هربرت وايت تحت المراقبة لمدة أسبوع ، فى أثناء إقامته فى منزل والدته بمدينة شيكاجو . ثم اعتقلوه فى 27 يونيو بعد أن أرشدهم إلى مكان زميله هيرمان نيوباور ، وهكذا تم القبض على الرجال الثمانية بسرعة .

أصدر الرئيس الأمريكى فرانكلين روزفلت قرارًا فى 2 يوليو 1942 بتشكيل محكمة عسكرية لنظر القضية . حيث لم يحدث محاكمة مدنيين أمام مثل هذه المحاكم ، منذ اغتيال الرئيس أبراهام لينكولن عام 1865 . وجرت المحاكمة فى مبنى وزارة العدل فى سرية تامة .

وفى 8 أغسطس أصدرت المحكمة حكمها ، وصدق عليه الرئيس الأمريكى . ويقضى بمعاقبة جورج داش - الذى أبلغ

عن العملية - بالسجن 30 عامًا . وبالسجن مدى الحياة على أرنست بيرجر زميل داش فى غرفة الفندق . وبالإعدام للآخرين ، حيث نفذ الإعدام بالكرسى الكهربائى فى هؤلاء الستة ، ودفنوا فى قبور لاتحمل علامات فى مقابر الحكومة بواشنطون .

فى نهاية أغسطس أذيع نبأ المخربين الثمانية ومحاكمتهم . وقد غضب الأدميرال كارل دونيتز - قائد الغواصات الألمانية ، والذى أصبح قائد البحرية الألمانية بعد ذلك - لأن غواصاته اشتركت فى المؤامرة وخاطرت بسلامتها دون أن يعرف . وظل فترة طويلة يرفض تمامًا التعاون مع المخابرات الحربية الألمانية ، لأية عملية تتطلب الغواصات .

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، قرر الرئيس الأمريكى هارى ترومان فى أبريل 1948 العفو عن جورج داش وزميله أرنست بيرجر ، حيث نقلا إلى ألمانيا ليقضيا حياتهما هناك .

بتصرف مختصر عن المصدر :

True Battles Magazine, By Lanrance Eliot , dated Nov . 1989

261 Fifth Avenue , New York , N.y. 10016,U.S.A

٥- نتائج رهيبة لفك الشفرة اليابانية ..

[بقلم : توماس لانفير]

خلال الحرب العالمية الثانية وفى مارس 1943 ، استطاع عالم الرياضيات الإنجليزية آلان تورنج Alan Turing فك الشفرة المعقدة لآلة إنيجما Enigma ، التى تقوم بتشفير البرقيات السرية الألمانية على سبعة مستويات مرة واحدة وبطريقة آلية تمامًا . أى أن البرقية تُشفر بالكود Code إلى أرقام وحروف طبقًا لمفتاح الشفرة وبنظام خاص للمستوى الأول . ثم يعاد تشفير هذه الرسالة الكودية إلى المستوى الثانى ، وهكذا حتى المستوى السابع بطريقة أوتوماتيكية . وهو آخر تطوير لهذه الآلة عبر سنوات طويلة ، والتى كانت تعمل من قبل على مستوى واحد أو اثنين على الأكثر .

وكانت القيادة اليابانية تستخدم هذه الآلات الألمانية المدهشة ، فى برقياتها العسكرية والسرية . وقد رفض الألمان مرارًا طلب اليابانيين الحصول على هذه الآلة السرية ، بعد أن اكتشفوا أن نظام شفرتهم السابق قد اكتشف من قبل الأمريكيين فى المحيط الباسفيكى . ولكن

هتلر أمر شخصيًا بتسليم هذه الآلات للقيادة اليابانية أوائل عام 1942 ، بعد دخول اليابان الحرب ضد الولايات المتحدة ، ضمن دول المحور Axis .

ولم يكن اليابانيون أو الألمان يعرفون أن نظام آلتهم المعقد قد اكتشف ، حيث إن البريطانيين والأمريكيين كانوا يستخدمون المعلومات التى يحصلون عليها من أسرار البرقيات الملتقطة والمشفرة ، بحكمة بالغة وحذر شديد . حتى ولو تسبب ذلك فى بعض الخسائر المحتملة فى المعارك الحربية . إذ إن ذلك سوف يثير شكوك الألمان واليابانيين ويغيرون من نظام شفرتهم وآلاتهم . وقد يستغرق الأمر سنوات طويلة أخرى ، قبل اكتشاف النظام الجديد .

وهكذا التقط الأمريكيون برقية سرية فى منتصف أبريل 1943 ، من قيادة القوات البحرية اليابانية فى طوكيو ، إلى قيادة العمليات اليابانية فى جنوب غرب المحيط الباسفيكى ، أن القائد العام للأسطول اليابانى ، سوف يقوم بزيارة المنطقة . وعلى الفور جرى إبلاغ الرئيس الأمريكى فرانكلين روزفلت ، وفى اجتماع صاخب فى البيت الأبيض

عُقد على عجل ، تساءل الأدميرال إرنست كينج Ernest King قائد البحرية الأمريكية ، إن كان ذلك يُعد عملاً حربيًا أم جريمة قتل لضرب طائرة الأدميرال اليابانى ؟ وفى النهاية تم الاتفاق على أن السؤال الذى يجب الرد عليه ، هو الذى وجهه الأدميرال تشستر نيمتز Chester Nimitz ـ قائد الأسطول الأمريكى فى المحيط الباسفيكى . والسؤال هو « هل لدى اليابان شخص آخر يمكن أن يؤدى عمله ؟ »

لم يكن هناك سواه ، وكان القائد اليابانى عنصرًا حيويًا فى العمليات العسكرية ، ولابد من القضاء عليه . والحق أن الأدميرال آيسوروكو ياماموتو Isoroku Yamamoto ، لم يكن فحسب قائدًا للبحرية اليابانية ، ولكنه هو الذى وضع خطة الهجوم لتدمير الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور Pearl Harbor بجزر هاواى فى 7 ديسمبر 1941 . كما أسهم فى تطوير طائرات زيرو Zero المقاتلة باعتباره من رواد الطيران . واعتمد على حاملات الطائرات Aircraft Carrier مما أحدث انقلابًا فى الحرب البحرية . وأدخل تحسينات كبيرة على استخدام الطوربيدات والقتال الليلى ، مما ألحق خسائر مروعة بالسفن الأمريكية . والغريب أنه درس فى جامعة هارفارد Harvard الأمريكية ، ولذلك كان



كان ياماموتو هو الذى وضع خطة ضرب الأسطول الأمريكى فى جزر هاواى فى ديسمبر 1941 .

بعض المتشددين فى القيادة اليابانية العليا يعتبرونه من أنصار الولايات المتحدة ، وكان مهددًا بالاغتيال أو الطرد . ومع ذلك تولى قيادة البحرية اليابانية عندما اندلعت الحرب ، وكان عمره عند تنفيذ العملية 59 عامًا .

فى عصر يوم 17 أبريل 1943 ، تم استدعاء قادة الأسراب والطيارين إلى مخبأ غرفة العمليات فى مطار هندرسون Henderson بجزيرة جوادال كانال Guadalcanal ، ضمن جزر سولومون Solomon شمال شرق أوستراليا . ولاحظ الطيارون أن معظم كبار الضباط فى الجزيرة ، متواجدون فى المخبأ ، مما يدل على أن هناك حدثًا خطيرًا على وشك الحدوث . ووزع عليهم ضابط من مشاه الأسطول « المارينيز » صورة برقية سرية للغاية ، موقعه من فرانك نوكس Fank Knox وزير البحرية الأمريكية .

وتقول البرقية إن الأدميرال ياماموتو سوف يصل إلى جزيرة بوجينفيل Bougainville جوًا فى 18 أبريل 1943 ، وبصحبته كبار الضابط من أركان حرب البحرية والقيادة العليا . وأنه على السرب رقم 339 فى الجزيرة أن يعترض طائرة الأدميرال ويدمرها مهما كان الثمن . حيث إن الرئيس الأمريكى يعلق أهمية كبيرة على ذلك .

ثم قام رئيس المخابرات الحربية فى الجزيرة بشرح تفاصيل أخرى عن المهمة القاتلة ، إذ إن الأدميرال وكبار الضباط اليابانيين يستقلون قاذفتين للقنابل بعيدة المدى ، وتحرسهما ست طائرات مقاتلة من طراز زيرو . وأن الموعد المنتظر لوصول هذا الوفد إلى مطار كاهيلى Kahili فى جزيرة بوجينفيل ، هو الساعة التاسعة صباحًا والدقيقة 45 من صباح اليوم التالى 18 أبريل . وأكد ضابط المخابرات أنه من المعروف عن الأدميرال حبه للنظام ، ومحافظته على المواعيد ، فلايجب تفويت الفرصة . خاصة وأن فقده سيكون ضربة قاسية للقيادة اليابانية والروح المعنوية .

كانت جزيرة بوجينفيل تقع على بعد حوالى 550 كيلومترًا شمال جزيرة جوادال كانال . ولم يكن هناك فى الجزيرة سوى 18 طائرة فقط من طراز P.38 - لايتنينج Lightning صناعة شركة لوكهيد الأمريكية ، ذات المحركين المروحيين ، والذيل المزدوج والملتحم . وهى طائرة مقاتلة بعيدة المدى بطيار واحد ، والتى لايكاد يمكنها الوصول إلى جزيرة بوجينفيل والعودة إلا بصعوبة ، حتى مع استخدام تانكات احتياطية للوقود . ولكن دون التمهل لأى سبب فوق الجزيرة التى يحتلها اليابانيون .

أخذ الميجور - رائد جوى - جون ميتشيل John Mitchell ، قائد السرب رقم 339 من المقاتلات اللايتننج ، يستعرض مع

طياريه تفاصيل المهمة عند حافة المدرج الذى تكسوه الحشائش . ثم وضع خطة لتنفيذ ذلك تقضى بتقسيم السرب إلى قسمين ، قسم من 14 طائرة تكون على ارتفاع 6000 متر لاعتراض المقاتلات اليابانية التى تنطلق من مطار كاهيلى فى الجزيرة المحتلة ، حيث يوجد هناك أكثر من مائة طائرة . وقسم آخر من أربع طائرات على ارتفاع 3000 متر لاعتراض الركب الجوى وإسقاط طائرة الأدميرال .

وأشار الميجور ميتشيل ، أنه من الضرورى اعتراض الركب الجوى قبل عشر دقائق من وصوله إلى الجزيرة المحتلة . وفى نقطة تبعد حوالى 69 كيلومترًا شمال مطار كاهيلى . وعلى ذلك لابد لطائرات السرب الأمريكية أن تنطلق صباحًا فى الساعة السابعة والدقيقة 25 ، بسرعة ثابتة محددة للوصول إلى المكان بالضبط فى الوقت المناسب .

كان الجو صافيًا فى صباح اليوم التالى الأحد 18 أبريل 1943 ، ولكنه مشبع بالرطوبة . وانطلقت الطائرات فوق الممر واحدة تلو الأخرى . ولكن إحدى الطائرات كانت تعانى من خلل فى نظام تغذية المحركات بالوقود من التنكات . كما انفجرت عجلة إحدى الطائرات . وهكذا فقد السرب طائرتين خلال دقائق من انطلاقهما نحو الشمال ، ولكن كان هناك تصميم على المخاطرة بكل شىء .

كانت الطائرات تحلق فوق الأمواج مباشرة ، حتى لاتكتشفها الرادارات اليابانية فى الجزر الأخرى ، فضلاً عن التعرج فى أقواس واسعة للتضليل . وبعد حوالى ساعتين ، ظهرت جزيرة بوجينفيل ، فبدأت الطائرات فى الارتفاع إلى أعلى بعد عبورها خط الساحل . إذ إن الجزيرة مغطاة تمامًا بالغابات الاستوائية الكثيفة التى تصل إلى الساحل . وأخذت كل طائرة فى السرب موقعها المحدد على الارتفاع المعين لها ، وهى تتجه نحو شمال الجزيرة لاعتراض الركب المهم .

لم يبق غير دقائق ، وأخذ الطيارون يتلفتون حولهم بحثًا عن الركب الجوى ، وأخيرًا صاح أحد الطيارين فى جهاز اللاسلكى أن الطائرات اليابانية فى الساعة العاشرة ـ أى أنها إلى الشمال الغربى من اتجاههم لو اعتبرنا الساعة 12 تشير تمامًا إلى الشمال .

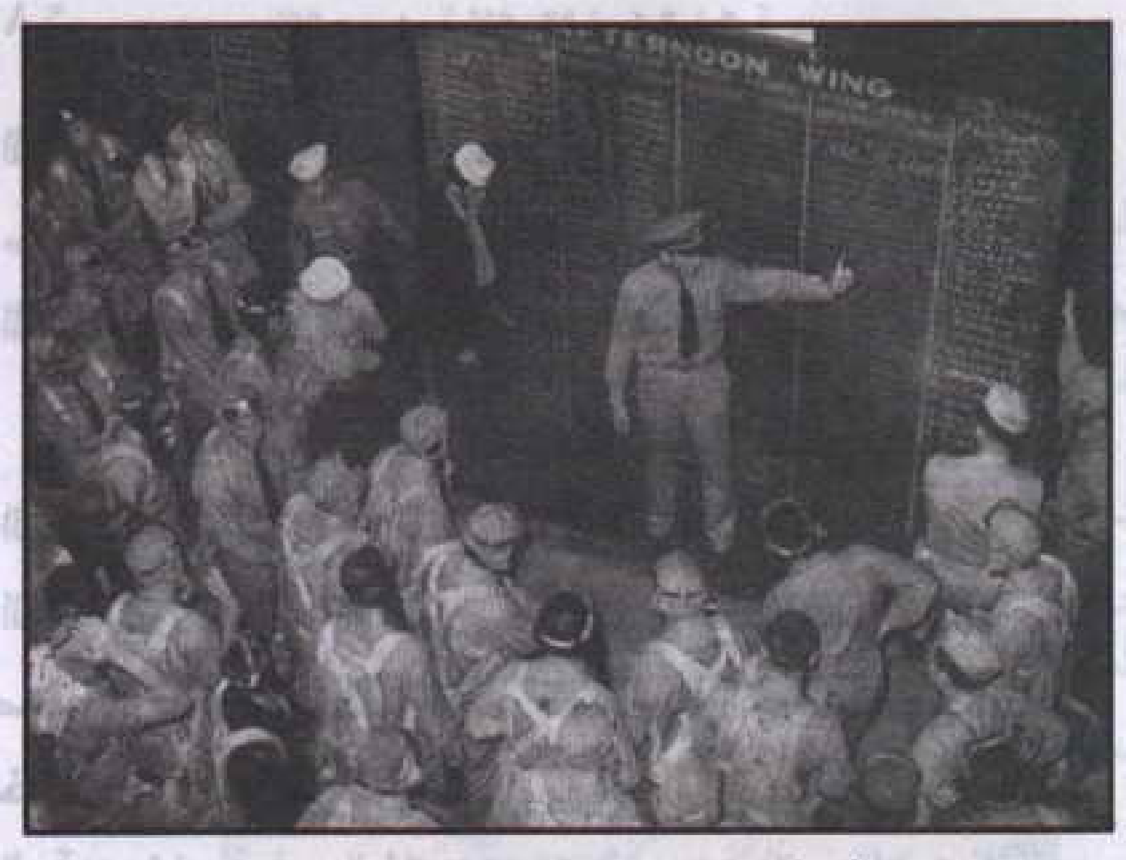
كان الركب الجوى بعيدًا فى تشكيل على حرف « فى » V ، وقد طليت باللون الأخضر للتمويه . وأصبح كل شىء الآن يتوقف على مهارة الطيارين ، حيث ألقت بخزانات الوقود السفلية الاحتياطية ، تمهيدًا لدخول المعركة . ولكن إحدى الطائرات الأربع المكلفة باعتراض القافلة الجوية ، لم تستطع إلقاء تانكات الوقود الاحتياطية برغم محاولة الطيار الجنونية للانقضاض بها نحو الشاطئ وفى النهاية

اضطر زميل له أن يرافقه دائمًا للدفاع عنه ، ولم يبق إلا طائرتان لاعتراض القافلة .

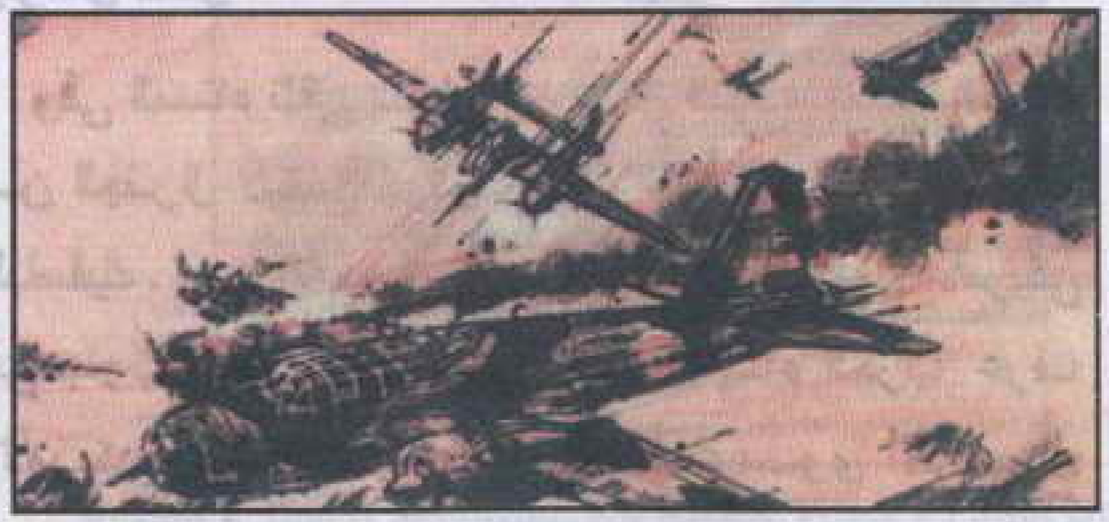
اقترب التشكيل اليابانى بسرعة من الأمام ، حين اكتشفت طائرات الزيرو اليابانية ، الطائرات الأمريكية . فألقت هى الأخرى بخزاناتها الاحتياطية ، واندفعت نحوها على الفور . بينما هبطت إحدى القاذفات نحو الغابة ، واتجهت الأخرى نحو البحر .

استطاعت المقاتلة الأمريكية إسقاط إحدى المقاتلات الثلاث التى هاجمتها .. بينما اشتبكت المقاتلة الأخرى مع الثلاث مقاتلات اليابانية الأخرى . ولم يكن الهدف هو الدخول فى اشتباكات جوية من هذا النوع ، وتخلصت المقاتلتان الأمريكيتان بسرعة مراوغة ودارتا للبحث عن القاذفتين الثمينتين . كانت إحدى القاذفات تحلق فوق الأشجار مباشرة ، فأطلقت عليها المقاتلة الأمريكية وابلاً من الرصاص . فاشتعل محركها الأيمن ، ثم انفصل الجناح وسقطت القاذفة فى الغابة . فى نفس الوقت طاردت المقاتلة الأمريكية الأخرى ، القاذفة اليابانية التى كانت قد اتجهت نحو البحر ، وأسقطتها أيضا فى البحر .

وفى الحال أخذت المقاتلات الأمريكية فى الارتفاع عاليًا ، حتى لاتلحقها المقاتلات اليابانية ، وهو الغرض



الطيارون الأمريكيون يتلقون التعليمات النهائية قبل انطلاقهم فى مهمتهم السرية .



انقضت المقاتلة الأمريكية على القاذفة اليابانية فوق أشجار الغابة ، وأمطرتها بالرشاشات .

الذى بنيت من أجلـه . خاصـة وأن المعركـة قد أثـارت «عش الدبابير» فـى مطار كـاهيلى بـالجزيرة ، وامتـلأت السماء بعشرات المقاتلات اليابانية .

كـانت جميـع الطـائرات الأمريكيـة التـى بقيت بعـد المعركة ، تعانى من نقص الوقود . وسقطت طائرتان فى البحر قبل محطة الوصول ، وجـرى إنقاذ طياريهـا . كما سقطت طائرتـان فـى أثنـاء المعارك الجويـة ، وأصيبت خمس طائرات بالرشاشات اليابانية . وكانت جميع خزانـات الوقود خاوية فى الطائرات التى وصلت إلى قاعدتها فى جوادال كانال .

وفى المساء تلقى الطيارون رسائل التهنئة بإتمام العملية من الجنرال لايتنتج جوكولنز قائد القوات البرية فى جنوب الباسفيك . ومن الأدميرال بول هالزى قائد الأسطول الأمريكى فى جنوب المحيط الباسفيكى . بعد انتهـاء الحرب عرف الأمريكيون أنـه لـم ينـجُ من الحـادث سـوى الأدمـيرال أوجاكى ، والأدميرال كيتامورا بعد إصابتهما بجروح خطيرة إثـر سقوط طائرتهما فى البحر . أما الأدميـرال ياماموتـو

فقد عثر عليه بين الأنقاض فى الطائرة التى سقطت فوق الغابـة ، واشترك ملايين اليابـانيين فـى تشييع جنازتــه رسميًا . واعترفت الإذاعة اليابانية بعد أشهر من وفاتـه بأنه قتل فى حادث !

ولكن القيادة الأمريكية لم تنشر أية تفاصيل طوال الحرب ، حتى لايشك اليابانيون من أن شفرة برقياتهم السرية قـد اكتشفت ، فيغيرونها . ثم استخدموا هـذه الأسرار فى ضرب الأسطول اليابانى ودحر قواته طوال مابقى من الحرب .



بتصرف مختصر عن المصدر :

Reader's Digest Magazine, An Article Titled « I Shot Down Yamamoto » by Thomas Lanphier, dated Dec. 1966 .

Pleasantville, N.y. 10570 , U.S.A

٦- إسقاط طائرة التجسس الأمريكية ..

[بقلم : جوليس بيرجمان]

كان القلق يجتاح قيادة القوات الجوية الاستراتيجية الأمريكية SAC فى ولاية نبراسكا ، مما يفعله الروس لتطوير صواريخهم العابرة للقارات ، وطائراتهم بعيدة المدى .. ونشأت الحاجة الشديدة لإيجاد وسيلة لاستطلاع وتصوير مواقع منصات إطلاق الصواريخ والمطارات العسكرية وقواعد الغواصات فى الاتحاد السوفييتى السابق ـ قبل أن ينحل فى ديسمبر 1991 . أى معرفة ما يجرى بالضبط خلف الستار الحديدى .

قدم مهندس الطائرات كلارنس جونسون الحل ، لتصميم طائرة خاصة جدًا ، يمكنها القيام بالأعمال الحقيرة Shunk Works على ارتفاعات عالية جدًا وبسرعة كبيرة . وخاصة أنه قد سبق له تصميم أول طائرة نفاثة أمريكية مقاتلة من طراز F-80 ، وكذلك المقاتلة F-104 ستار فايتر النفاثة Starfighter التى كانت تعد أسرع طائرة فى العالم فى ذلك الوقت ، حيث بلغت سرعتها 2400 كيلومتر فى الساعة .

ووافق الرئيس الأمريكى دويت أيزنهاور على بناء الطائرة . وبدأ المهندس جونسون تصميم طائرة التجسس فى مايو 1954 ، حيث أطلق على المشروع السرى اسم مشروع أيدليست Idealist أى الكمال . وخلال 80 يومًا كان الموديل الأول للطائرة جاهزًا للاختبار . والحق أن المهندس كلارنس جونسون أخذ تصميمات الطائرة ستارفايتر المقاتلة ، وأجرى عليها بعض التعديلات لطول الأجنحة والذيل وتعديل المحركات .

كما استخدم مصنع لوكهيد Lockheed فى بالمديل Palmdale بولاية كاليفورنيا سبائك معدنية جديدة من بينها معدن التيتانيوم الصلب والخفيف فى بناء هيكل الطائرة . أما المحركات النفاثة من طراز JP-4 التى تستخدم الكيروسين والبنزين ، فقد جرى تعديلها بوقود خاص آخر ، حيث إن هذا الخليط يغلى على ارتفاع 21 ألف متر .

كانت الطائرة بالفعل خفيفة ، وتزن أقل من نصف وزن المقاتلات النفاثة ، ولكنها تستطيع أن تحلق على ارتفاع 27 ألف متر بسرعة تصل إلى مرتين ونصف المرة لسرعة الصوت . كما يمكنها أن تحلق على هذا الارتفاع لمدة 12 ساعة متصلة لمسافة تصل إلى أكثر من خمسة آلاف كيلومتر .



طائرة التجسس الأمريكية المعدلة U-2



مبنى وكالة الأمن القومى الأمريكية فى فورت ميد بولاية ميريلاند ، والتى تستخدم الطائرات والسفن والقواعد الأرضية للتجسس الإليكترونى حول العالم .

وقد سقطت بعض الطائرات الأولى فى أثناء الاختبارات ، وجرى تعديل الجوانب فيها فى كل مرة . وبعد انتهاء فترة الاختبارات بنجاح ، جرى إنتاجها فى مصانع لوكهيد وتسليمها لقيادة القوات الجوية الاستراتيجية فى منتصف عام 1955 . حيث كونت منها السرب رقم 99 استطلاع جوى ، فى قاعدة بيل Beale الجوية قرب ماريسفيل Marysville بولاية كاليفورنيا . حيث أطلق على الطائرة الجديدة اسم U-2 . ويشير حرف U إلى المنفعة أو الفائدة Utility . ويعرفها الطيارون باسم دراجون ليدى Dragon Lady . وتم بعد ذلك إنتاج 50 طائرة منها فقط .

فى أواخر عام 1955 اشتركت قيادة القوات الجوية الاستراتيجية مع وكالة المخابرات المركزية CIA ، ووكالة الأمن القومى الأمريكية NSA ، وإدارة الملاحة الجوية ، فى إعداد برنامج تمويهى لعمل الطائرة . ونشر وقتها أن الطائرة سوف تستخدم فى الأغراض العلمية ، وجمع عينات من الغلاف الجوى على ارتفاعات عالية لقياس درجة الإشعاع بها . وهو الأمر الذى كانت تؤديه بالفعل هذه الطائرات فى المراحل الأولى . ولكنها كانت فى نفس الوقت مجهزة بآلات تصوير إليكترونية وأجهزة أخرى تسجل كل شىء فى المناطق التى تمر عليها .

وكان لابد من استخدام طيارين مدنيين متخصصين لمثل هذه المهام، إذ من المحظور دوليًا طبقًا للاتفاقيات استخدام طيارين عسكريين فوق أراضى دول أخرى وقت السلم. ولذلك تعاقدت شركة لوكهيد على عدد من الطيارين للقيام بهذه المهام « الخاصة ببرنامج الأرصاد الجوية ».

فى منتصف عام 1956 بدأ استخدام هذه الطائرات فى عمليات التجسس حول العالم، طبقًا لبرنامج الأرصاد المعلن عنه. لذلك فإن هذه الطائرات لا تحمل أية علامات سوى الحروف الأولى من إدارة الملاحة الجوية، فوق هيكلها الذى طلى باللون الأزرق القاتم. وبدأت طائرات التجسس فى القيام بعمليات تغلغل عميقة داخل الاتحاد السوفييتى - روسيا - وكذلك دول العالم الأخرى. وقدمت بالفعل معلومات كثيرة عن قواعد الصواريخ والمطارات والموانى ومحطات الرادار والإنذار، بل والمنشآت المدفونة تحت الأرض فى روسيا وغيرها.

فى عام 1958، اعترفت روسيا رسميًا أنها تعرف بأمر الرحلات الجوية لطائرات التجسس فوق أراضيها، وطالبت الولايات المتحدة بوقف هذه الرحلات تمامًا. وقد حاولت الطائرات الروسية الارتفاع عاليًا وضرب الطائرات المتغلغلة

دون جدوى. فلم يكن لدى روسيا فى ذلك الوقت طائرة يمكنها الصعود عاليًا، أو صاروخٌ دقيقٌ يصل إلى مثل هذا الارتفاع لإسقاط الطائرة. وكل ما كان فى إمكان روسيا أن تفعله هو الاحتجاج الرسمى عند القيام بكل رحلة واختراق مجالها الجوى. ويبدو أنهم كانوا يحاولون بالفعل تطوير طائراتهم وصواريخهم للنيل من طائرات التجسس.

فى فجر اليوم الأول من شهر مايو 1960 انطلق الطيار جيرى باورز Gary Powers بطائراته من طراز U-2 من إحدى القواعد الجوية التركية، للقيام برحلة تجسس فوق روسيا. وكان برنامج طيرانه حافلاً بالمهام، لتصوير قواعد الصواريخ فى تيورا تام Tyura Tam شرق بحر آرال. وقواعد الصواريخ الغامضة فى سفيردلوفسك وما حولها Sverdlovsk، وقاعدة الغواصات فى مورمانسك Murmansk فى أقصى الشمال، ثم التوجه إلى القاعدة الجوية الأمريكية فى أيسلاندا. وهى رحلة طويلة تصل إلى 4800 كيلومتر.

كانت الرادارات الروسية تتبع طائرة التجسس فور اختراقها للمجال الجوى الروسى. وتركوه يواصل طريقه حتى وصل إلى وسط روسيا فوق سفيردلوفسك ثم ضربت بصاروخ جديد من طراز سام Sam المضاد للطائرات. وأصيبت الطائرة برغم أنها كانت تطير على

ارتفاع 23 ألف متر وبدأت تتهاوى بسرعة وقد حاول الطيار باروز التحكم فيها والهبوط بها سالمًا على الأرض ، حيث إن الطائرة مصممة بطريقة تمكنها من الطيران الشراعى لمسافة طويلة والهبوط بدون محركات . وهو الأمر الذى لا يمكن للطائرات النفاثة الأخرى أن تفعله .

كان من المقرر إجراء لقاء فى نفس اليوم بين الرئيس الأمريكى دويت أيزنهاور ، والرئيس السوفيتى نيكيتا خروشوف فى العاصمة النمساوية فيينا . ولكن أنباء سقوط طائرة التجسس الأمريكية فوق روسيا ، أثار غضب خروشوف ، فألغى اللقاء .

حوكم الطيار باورز أمام محكمة عسكرية روسية بتهمة التجسس ، وحكم عليه بالسجن ، ثم أفرج عنه بعد ذلك وعاد إلى الولايات المتحدة . وقد تبين من إجراءات المحاكمة التى صورت وأذيعت على العالم ، أن الطيار كان لديه أوامر بتدمير وتفجير الطائرة عند الخطر بعد القفز منها ، حيث إنها مزودة بمثل هذه المتفجرات الزمنية .

وكان الطيار مسلحًا بمسدس ، وكبسولة سيانيد للانتحار . مع ورقة بعدة لغات ـ منها العربية ـ تطلب ممن يطلع عليها مساعدة الطيار ، الذى يحمل مبالغ مالية « بالدولار » لإنفاقها

على هربه لو تمكن من ذلك . ثم عرض الادعاء بالمحكمة الكثير من الصور لحطام الطائرة ، وأجهزة التجسس المختلفة ، واعتراف الطيار نفسه .

بعد سنوات من هذا الحادث ، وفى أكتوبر 1962 ، اكتشفت وصورت طائرة تجسس من طراز U-2 منصات إطلاق الصواريخ النووية فى كوبا . مما دعا الرئيس الأمريكى جون كنيدى بمحاصرة جزيرة كوبا بحريًا ، وهدد بضرب الصواريخ ، إذا لم تسحبها روسيا ، وهو ما فعلته ..

أسقطت الصين فى السنوات التالية أربع طائرات من هذا النوع فوق أراضيها ، وكذلك فيتنام الشمالية وكوريا الشمالية . مما دعا الولايات المتحدة لتطوير هذه الطائرات . وقد جرى بالفعل عام 1977 تطوير الطائرة بزيادة أطوال أجنحتها ، وتغيير محركيها النفاثين وغيرها من الأجهزة الفنية . وعليها تم تعديل الطائرات الخمسين من هذا النوع الموجودة فى الخدمة العاملة حاليًا ، وأصبحت باسم E-2R ، ولكن الجميع يصرون على الاسم القديم U-2 .

وقد تضاءل بالفعل دور طائرات التجسس على ارتفاعات عالية ، بعد تطوير الطائرات المقاتلة والصواريخ ، وفى ظل وجود أقمار الاستطلاع العسكرية التى تقوم بالمهمة

وبكفاء عالية ، ولكن يبقى أنه فى بعض الحالات الحرجة والدقيقة لابد من استخدام مثل هذه الطائرات الاستطلاعية .

ولذلك قامت شركة لوكهيد الأمريكية فى أوائل الثمانينات بتصميم وتصنيع طائرة أخرى متطورة باسم SR-71 ، يمكنها الارتفاع إلى أكثر من 35 كيلومترًا ، وبسرعة أكثر من ثلاثة أضعاف ونصف ضعف سرعة الصوت . وهناك أنباء أخرى ـ غير مؤكدة ـ فى عام 1999 أن نفس الشركة تطور طائرة فضائية للاستطلاع العسكرى ، يمكنها الخروج من الجاذبية الأرضية ، والتحليق خارج الغلاف الجوى ، على ارتفاع 100 كيلومتر ، والانطلاق بسرعة تصل إلى خمسة أضعاف سرعة الصوت ، والتى تساوى 1226 كيلومترًا فى الساعة على مستوى سطح الأرض . وتنخفض سرعة الصوت قليلاً كلما ارتفعت الطائرة عاليًا . ومثل هذه الطائرات الخاصة تستخدمها أساسًا وكالة الأمن القومى الأمريكية NSA ، للاستطلاع الإليكترونى حول العالم .

بتصرف مختصر عن المصدر :

Flight International Magazine, by Jules Bergman, dated Oct. 1999 London, England .

٧ ـ الحلقة الروسية فى طوكيو ..

[بقلم : جوردون برانج]

ربما كان ريتشارد سورج Ricard Sorge ، سيد الجواسيس بالفعل خلال القرن العشرين الماضى . كان وسيمًا طويل القامة ، ذا شخصية جذابة ، واسع الاطلاع ولبقًا فى حديثه . ولكن هذه المواهب وجهها كلها لأعمال الجاسوسية طوال حياته ، واستطاع أن يحصل على الكثير من المعلومات الخطيرة بسهولة مدهشة . كما أنه تمكن من خداع الكثيرين ، بمن فيهم أجهزة الأمن اليابانية والألمانية والصينية وغيرها . وكان لديه موهبة خاصة فى تصنيف وتنقيح وتحليل المعلومات ، ورسم صورة كاملة للموقف مع توقعاته المذهلة ، التى كانت دائمًا ما تحدث . حتى إن المخابرات الروسية ـ التى يعمل لحسابها ـ كانت تشك كثيرًا فى صدق معلوماته ، لفرط دقتها وتفاصيلها . ولكن سورج سقط فى النهاية وبمحض الصدفة .

برغم أن سورج ولد فى باكو Baku فى القوقاز . من أم روسية وأب ألمانى كان يعمل مهندسًا فى حقول البترول ،

فإن هذا لم يكن ليجعله شيوعيًا متحمسًا ، فقد انتقلت الأسرة إلى برلين وهو مازال فى الثالثة من عمره . ولكن عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام 1914 ، أصبح جنديًا فى الجيش الألمانى وجرح عدة مرات . وبعد الحرب أخذ يبحث مع زملائه عن الأسباب السياسية والاقتصادية لمثل هذه الحرب ، وهكذا حدث التحول نحو الأفكار اليسارية .

تابع سورج دراسته ، وحصل على درجة الدكتوراه PHD من جامعة هامبورج الألمانية فى العلوم السياسية . وفى عام 1924 طلب منه الكومنترن ـ وهو تنظيم الشباب الشيوعى العالمى ـ أن يساعد فى إنشاء مكتب للمخابرات فى مقره الرئيسى فى موسكو ، حيث أدى عمله بنجاح . ونقل سورج عضويته من الحزب الشيوعى الألمانى ، إلى الحزب الشيوعى السوفييتى «الروسى» ، وأصبح سرًا مواطنًا سوفيتيًا . ثم نقل إلى المخابرات الحربية فى الجيش الروسى ، التى أرسلته إلى ميناء شانجهاى الصينى عام 1930 لإنشاء شبكة للتجسس هناك .

وفى عام 1933 ، استدعى إلى موسكو ، وعهد إليه بإنشاء شبكة للتجسس فى اليابان . وكان لابد له من

العودة إلى ألمانيا للحصول على أوراق الاعتماد المناسبة ، ولكن كانت هناك حملة عنيفة ضد الشيوعيين ، منذ أن أصبح أدولف هتلر مستشارًا لألمانيا فى يناير 1933 . وكانت مخاطرة كبيرة ، ولكن سورج استطاع أن يحصل على خطابات اعتماد كمراسل صحفى لصحيفتين ألمانيتين كبيرتين . وصحيفة هولندية ، مع خطاب اعتماد مالى من برلين . ثم قدم طلبًا للانضمام إلى الحزب النازى الحاكم .

وصل سورج إلى طوكيو فى سبتمبر 1933 ، وتوجه إلى السفارة الألمانية هناك ، حيث قدم أوراقه كمراسل صحفى ، واستقبل بترحاب كبير . ووضعه البوليس اليابانى تحت الرقابة الروتينية المفروضة على كل الأجانب فى اليابان . وخلال الفترة الأولى أخذ سورج يدعم مكانته بين الجالية الألمانية فى طوكيو ، وحاول تعلم اللغة اليابانية والاطلاع على تاريخها وأحداثها . وأرسل سورج إلى الصحف التى يراسلها مجموعة من البرقيات الصحفية التى تدل على أنه مراسل صحفى مطلع بصورة غير عادية .

كانت موسكو قد أمهلته عامين لوضع الأسس لإنشاء شبكة للتجسس ، وهى فترة لاينبغى له فيها القيام بأية أعمال كبيرة . وبعد أن استأجر منزلاً بطابقين وحديقة واستقر فى عمله ، بدأ بعد أشهر من إنشاء شبكته .
وأرسلت له موسكو فنيًا للاسلكى ألمانى الجنسية يُعرف باسم برنارد Bernhardt . ويوجوسلافيًا شابًا باسم برانكو دى فوكيليتش Branko De Voukelitch يعمل بالتصوير ، وأصبح مراسلاً لوكالة الأنباء الفرنسية « هافاس » فى طوكيو . وعندما طلب سورج شخصًا يجيد اليابانية والإنجليزية معًا بطلاقة ، أرسلت إليه موسكو مياجى يوتوكو Miyagi Yotoku الفنان اليابانى المهاجر إلى كاليفورنيا والذى التحق بالحزب الشيوعى هناك .

كانت الاتصالات بين سورج وموسكو تتم فى البداية عبر حملة الرسائل كل بضعة أشهر ، وبطريقة شخصية فى طوكيو . حيث يتسلم سورج دفعات مالية للإنفاق على الشبكة ، ويسلمه المعلومات السرية المصورة بأفلام دقيقة Microfilm .

واستدعى سورج صحفيًا يابانيًا شيوعيًا باسم أوزاكى هوتسومى Ozaki Hotsumi سبق أن عمل معه فى شبكة



كانت الاتصالات الأولى مع موسكو تتم عبر حاملى الرسائل كل عدة أشهر .



كان سورج يصور الوثائق المختلفة بأفلام دقيقة ويرسلها إلى موسكو عبر شبكة شانجهاى فى الصين .

شانجهاى . وعندما تأخر برنارد فى تركيب أجهزة اللاسلكى بالموجة القصيرة ، نظرًا للذعر والتوتر الذى أصابه ، مما جعله يُفرِط فى الشراب ، أعاده سورج إلى موسكو . وطلب بدلاً منه ماكس كلاوزن Max Clausen الذى عمل معه من قبل فى شانجهاى . ووصل ماكس فى نوفمبر 1935 ، وفتح طريق الاتصالات مع موسكو عبر الراديو بانتظام .

كانت موسكو قد استدعت سورج فى مايو 1935 ، فذهب إلى هناك عن طريق نيويورك . حيث حصل من بعض الشيوعيين على جواز سفر مزور ، حتى لاتظهر تأشيرات سفره إلى روسيا فى جواز سفره الأصلى . واستقبله الجنرال سيميون أوريتسكى Semion Uritski ، رئيس الإدارة الرابعة فى المخابرات الحربية الروسية . وطلب منه التركيز على مسألتين مهمتين ، هل تنوى اليابان الهجوم على روسيا ؟ وإن كان ذلك فما هو مدى استعداد اليابان للحرب ؟! وفيما عدا ذلك ، فله مطلق الحرية فى اختيار الموضوعات التى يراها .

جرت محاولة انقلاب عسكرى فى طوكيو أوائل 1936 ،

بقيادة بعض صغار الضباط . حيث قتلوا الكثيرين من المسئولين والوزراء ، مع احتلال المبانى الحكومية . وكان هذا الأمر مربكًا لبعض الدول ومنها ألمانيا ، وشرع أعضاء الشبكة فى البحث عن أسباب الانقلاب . وقد زودهم أوزاكى بالكثير من المعلومات المهمة ، حيث أصبح عضوًا فى مجموعة من المتخصصين ومندوبى الوزارات والجيش اليابانى لبحث المشكلات الداخلية والخارجية لليابان ، كمشروع بحثى برعاية أكبر الصحف اليابانية ، وكان الرأى أن هذا الانقلاب حدث قبل أوانه وضعيف للغاية . وبالفعل قامت قوات الجيش بسحق الانقلاب بعد أربعة أيام . وكانت التحليلات والتوقعات والمعلومات الغزيرة ، قد رفعت شأن سورج فى السفارة الألمانية ، وكذلك الصحف الألمانية التى يراسلها . مما أتاح له استخدام مصادر السفارة الألمانية فى أبحاثه المستقبلة .

طلب ماكس الانتقال إلى مبنى خشبى مرتفع فى منطقة مزدحمة للإرسال اللاسلكى ، إذ أن المعادن تتداخل مع الإرسال . كما يصعب على البوليس تفتيش كل المساكن ، عندما تشير الأجهزة البدائية إلى إرسال بالموجة القصيرة



تمكن ماكس كلاوزن من إقامة محطة لإرسال البرقيات إلى موسكو بالموجة القصيرة .

إلى منطقة عامـة . وكـانت الرسـائل ترسل بالإنجليزيـة ، مع عدم استخدام كلمات روسية أو ألمانية بأى حال لمنع الشبهات ، لو حل اليابانيون شفرة البرقيات .

وعندما قامت اليابـان بغزو شمال الصين فى يوليو 1937 كمرحلة أولى ، كتب سورج سلسلة من المقالات الملیئة بالمعلومات القيمة ، تنبأ فيها بأن هذه الحرب سوف تكون طويلـة . مما رفع من شـأنه كثيرًا فى الصحف التى يراسلها ، فضلاً عن السفارة الألمانية ، التى صارت تعتمد عليه فى كل شىء ، وبالتالى يطلع علـى كـل وثائقهـا السـرية . والحـق أن معظـم هـذه المعلومات قد حصل عليها سورج من الصحفى اليابـانى أوزاكى عبر مناقشات «فريق الإفطار» الذى كـان يبحث فى مشكلات شرق آسيا .

وحدث فى منتصف عام 1938 أن عبر الجنرال الروسى ليوشكوف Lyushkov وعبر الحدود عند مانشوكو Manchukuo جنوب شرق روسيا ، وسلم نفسـه إلى جيش كوانتونج Kwantung اليابانى فى شبه جزيرة منشوريا ـ وهى كوريا الشمالية والجنوبيـة حاليًا . وفى طوكيو جرى استجواب

الجنرال بدقة، حيث أدلى بأسرار غزيرة. وعندما حصلت السفارة الألمانية على نسخة من التقرير ـ الذى اشترك فى وضعه بعثة ألمانية خاصة حضرت التحقيقات ـ قرأه سورج. وأرسل ملخصًا له حول أوضاع 25 فرقة روسية فى جنوب سيبريا ومنجوليا الخارجية وتسليحها. مما أتاح للروس تغيير أماكن هذه الفرق العسكرية، وتغيير الشفرة.

كان أوزاكى قد أصبح عضوًا فى الهيئة الاستشارية غير الرسمية لرئيس الوزراء الأمير كونوى Konoye منذ توليه منصبه فى منتصف 1937، بجانب عضويته فى «فريق الإفطار» وعمله كصحفى. وبعد أن سقطت الوزارة بعد 18 شهرًا، انتدب للعمل فى إدارة التحقيقات بسكك حديد حنوب منشوريا. وهو منصب أهم من منصبه كمستشار لمجلس الوزارة، إذ يتيح له مراقبة تحركات الفرق العسكرية لجيش كوانتونج فى المنطقة، وإلى أين تتجه.

بدأت إدارة الأمن اليابانية الخاصة بمراقبة الأفكار الخطرة «توكو» Tokko، فى مراقبة سورج بهدوء فى أكتوبر 1939، بسبب كونه أجنبيًا وصحفيًا، ويتردد كثيرًا

على السفارة الألمانية فى طوكيو. وعهدت إلى مخبر شاب بمراقبته بحرص، دون أن يراه، لذلك لم يكن يستغرق أكثر من ساعة أو ساعتين فى مراقبته كل مرة.

كانت الأحداث الدولية تتسارع لحظة بعد أخرى، خاصة بعد قيام هتلر بافتتاح الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر 1939. باحتلال بولندا. ووصل إلى طوكيو فى منتصف عام 1940 الكولونيل ـ عقيد ـ أوسكار فون نيدرماير Oskar Von Niedermayer، للبحث فى مدى استعداد اليابان للاشتراك فى الحرب ضد روسيا. برغم أن ألمانيا كانت قد وقعت معاهدة لعدم الاعتداء مع روسيا فى أغسطس 1939، اتفق سرًا خلالها على تقسيم بولندا بينهما بعد احتلالها. وعرف سورج، منه معلومات خطيرة حول النيات الألمانية المبيتة نحو روسيا، فأرسلها على الفور.

فى بداية عام 1941 بدأت الشكوك تحوم حول الخلفية الغامضة لحياة سورج فى ألمانيا، وأراد رئيس قسم الصحافة فى الرايخ الثالث الحقيقة الكاملة حول سورج، حتى يتمكن من الاستفادة بالتقارير التى يرسلها إلى ألمانيا على المستوى الرسمى. وكانت نتيجة تحريات

رجال الجيستابو Gestapo غامضة ، إذ لم يكن هناك دليل حقيقى على أن سورج عميل روسى . وأرسل ملفه إلى رئيس قسم المخابرات الخارجية الألمانية فى برلين ، الذى رفع الأمر إلى الجنرال راينهارد هايدريش Reinhard Heydrich رئيس جهاز الأمن . وفى النهاية تمت الموافقة على استمرار سورج فى عمله كمراسل صحفى ألمانى مع وضعه تحت المراقبة . وفى مايو 1941 وصل إلى السفارة الألمانية الكولونيل جوزيف مايسنجر Joseph Meisinger من الجيستابو ـ والذى اشتهر بجزار وارسو ـ كضابط أمن جديد . ولكن سورج استطاع أن يكتسب صداقته ، وبعد فترة بعث الكولونيل بتقرير إلى برلين يزيل النقاط السوداء من ملف سورج .

وفى نفس الوقت توقف فى طوكيو الليفتنانت كولونيل ـ مقدم ـ شول Shol فى طريقه إلى منصبه فى تايلاند . وكان سورج يعرفه من قبل فى السفارة الألمانية ، حيث عمل فترة كمساعد ملحق عسكرى ، وعرف منه معلومات سرية للغاية . حيث أكد له شول أن الحرب بين ألمانيا وروسيا قد أصبحت وشيكة ، وقد تقع يوم 20 يونيو من نفس العام أى 1941 . وأن هناك حوالى 190 فرقة عسكرية

ألمانية مدرعة وميكانيكية تتجمع الآن على الحدود الشرقية الألمانية ، وأن الهجوم سيكون على جميع الجبهات .

أسرع سورج بإرسال هذه المعلومات الخطيرة إلى موسكو بالراديو « اللاسلكى » وانتظر لساعات بصبر نافد لتلقى أى رد ، أو حتى كلمة شكر أو طلب للمزيد من المعلومات . وفى اليوم التالى ، وفى ميعاد البث ، جاءت برقية موجزة « .. نحن نشك فى حقيقة معلوماتكم ! » . وانفجر سورج وماكس فى غضب جارف من هذا التجاهل والرد غير اللبق ، وخرجا معًا يروحان عن نفسيهما .

عندما قامت قوات البانزر المدرعة الألمانية باجتياح الحدود الروسية فى 22 يونيو 1941 ، وساقت الجيش الروسى أمامها بسرعة حتى أصبحت على مشارف موسكو ، وعلى بعد 50 كيلومترًا فقط من العاصمة الروسية ، وأصبح وجود روسيا فى مهب الريح ، جاء الاعتذار من المخابرات الحربية الروسية عبر برقية مؤثرة إلى سورج . وفى اليوم التالى جاءت برقية أخرى تتوسل المعلومات حول موقف اليابان ، وهل هناك تحركات للقوات اليابانية نحو الحدود الروسية من منشوريا ؟

صحيح أن اليابان وإيطاليا وألمانيا قد وقعت الاتفاق الثلاثى Tripartite Pact بينهم فى 27 سبتمبر 1940 ، ولكن اليابان ترفض أن تُستغل لخدمة الأهداف الألمانية . وبدأت تراوغ وترفض بأدب التقيد بأى التزام . بل إن اليابان وقعت بعد ذلك ميثاق حياد Neutrality Pact مع روسيا ، مما أثار دهشة الألمان ، برغم أن العلاقات بين اليابان والولايات المتحدة قد بدأت فى التدهور .

لم يستطع سورج إبلاغ موسكو على الفور بنوايا اليابان حيالها ، حيث كان هناك انقسام فى الرأى حول الهجوم على روسيا من حدودها الشرقية ، برغم أن اليابان قد أعلنت التعبئة العامة . وطالما أن اليابانيين أنفسهم لم يستقروا على شيء ، فلايمكن البت فى أى اتجاه سوف تندفع إليه الجيوش اليابانية . وعندما علم الصحفى أوزاكى بالقرار الذى اتخذه المجلس الإمبراطورى فى الثانى من يوليو 1941 ، أرسل سورج إلى موسكو أن الجيوش اليابانية سوف تتجه جنوبًا نحو الصين وأندونيسيا . ولكنها ستضرب روسيا إذا تطورت الأحداث . وقد تأكد هذا الأمر من تحركات الجيوش اليابانية فى منشوريا . مما أتاح لروسيا نقل نصف قواتها من الشرق الأقصى للقتال

على حدودها الغربية ، لوقف الزحف الألمانى . وكانت هذه المعلومات آخر رسالة من سورج .

ويبدو أن حظ الحلقة الروسية فى طوكيو قد بدأ فى التراجع . فقد قبض البوليس اليابانى على شاب بتهمة الشيوعية ، وتحول مرشدًا للبوليس بعد تردد . وعند سؤاله عن آخرين يمكن أن يكونوا من الشيوعيين ، أعطاهم اسم سيدة عادت أخيرًا من أمريكا . وكان يظن أن هذه التضحية لن تؤثر كثيرًا .

توجه رجلان من إدارة الأمن إلى منزل السيدة ، ووجها إليها بعض الأسئلة الروتينية . ولم يعتقلوها لعدم أهميتها ، وهم يعرفون أين يجدونها . ولكن إدارة الأمن اليابانية وضعت منزلها تحت المراقبة . وكان مياجى الفنان ـ أحد أعضاء الشبكة ـ يستأجر غرفة فى منزلها .

بعد فترة توجه رجال الأمن لسؤال السيدة مرة أخرى وتفتيش منزلها ، ولاحظوا وجود مبلغ بالدولارات الأمريكية . وذكرت السيدة أن مياجى هو الذى أعطاها هذه النقود ، من أجل أيامهما القديمة حينما كان يقيم فى منزلها بلوس أنجيلوس بولاية كاليفورنيا الأمريكية قبل عودتهما . وقرر رجال الأمن الاستماع إلى أقوال مياجى ، وصعدوا إلى أعلى المنزل لاصطحابه .

بينما كان مياجى يرتدى ملابسه باستسلام ، أخذ الرجال يقلبون الغرفة ، وكان على الطاولة أوراق كثيرة باليابانية وترجمتها بالإنجليزية . ومن بينها دراسة حول مخزون اليابان من البترول فى منشوريا ، مما جعل عيون الرجال تتسع من الدهشة ، فلم يكن الأمر بمثل هذه الخطورة الشديدة التى لم يتوقعوها .

خلال ساعات طويلة أخذ رجال توكو يستجوبون مياجى بغلظة دون جدوى ، وعند الظهر توجهوا لتناول الغداء ، وتركوا حارسين فى الغرفة . حيث غافلهم مياجى وقفز من النافذة ، فأسرع أحد الحراس بالقفز وراءه . وتبين أن الاثنين سقطا فوق شجرة ، ولم يصابا إلا ببضع كدمات وجروح سطحية . فجرى استجوابه مرة أخرى ، حيث صرح بكل شىء . وقام رجال الأمن باعتقال الصحفى أوزاكى فى صباح 15 أكتوبر 1941 ، وبعد ثلاثة أيام اعترف أيضًا .

أثار اختفاء عضو الشبكة اليابانية قلقًا شديدًا لدى سورج وزميليه ، خاصة وأنه شعر بخبرته أنه تحت المراقبة فى كل مكان ليل نهار .. وكان لابد من تصريح خاص لاعتقال الأجانب الثلاثة سورج ، وبرانكو ، وماكس .

غافل مياجى رجال الأمن أثناء التحقيق ، وقفز من نافذة المبنى قاصداً الانتحار على الطريقة اليابانية .

وفى ساعة مبكرة من صباح 18 أكتوبر جرى اعتقال الثلاثة وهم فى الفراش .

أثار اعتقال سورج ضجة كبيرة فى ألمانيا ، وجرى إقالة السفير واستبدال معظم موظفى السفارة . ولكن أنباء الاعتقالات لم تنشر إلا فى مايو 1942 وبدأت المحاكمات بعد ذلك بعام كامل .

خلال المحاكمة مات مياجى الفنان ، نظرًا لإصابته القديمة بمرض السل . وُحكم على المصور اليوجوسلافى برانكو بالسجن 20 عامًا . ثم مات بالتهاب رئوى بعد 16 شهرًا فى السجن . كما حكم على ماكس ـ فنى الراديو ـ بالسجن مدى الحياة . وحكم بالإعدام على سورج رئيس الحلقة الروسية ، والصحفى اليابانى أوزاكى . ونفذ الحكم شنقًا فى نوفمبر 1944 .

بتصرف مختصر عن كتاب :

Master Spy , By Gordon Prange , Published by The New York Times Co,1967
229, Wesst 43 Street . New york, N.Y. 10036, U.S.A

٨ ـ لولاه لتأخر استقلال أمريكا ..

[بقلم : ليونارد فولجر]

بدأت الثورة الأمريكية بطريقة عفوية للغاية ، ولم يخطط لها من قبل ، حينما عارض الكونجرس الأول الأمريكى فى أكتوبر 1765 ، فرض رسوم أو دمغة Stamp Act ، والذى فرضه مجلس العموم البريطانى على الشاى المصدر إلى المستعمرات البريطانية فى أمريكا . وفى 16 ديسمبر 1773 قام الأمريكيون فى ميناءى بوستون ونيويورك بإغراق صناديق الشاى البريطانى فى البحر . وفى أكتوبر من العام التالى صدر إعلان الحقوق للمواطنين الأمريكيين التابعين للتاج البريطانى .

وفى ذلك الوقت أخذ الزعماء الأمريكيون فى المستعمرات المستقلة المختلفة يتدارسون مستقبل البلاد وكلفوا جورج واشنطون George Washington بتكوين جيش للدفاع عن المستعمرات أو الولايات ضد الجيش البريطانى لفرض حقوقهم . وجرت أول معركة بين البريطانيين والأمريكيين فى 19 أبريل 1775 بما يعرف بمعركة ليكسنجتون . وجرت

بعدها معركة بونكر هيل فى شهر يونيو من نفس العام ، بعد شهر واحد من اتحاد بعض المستعمرات أو الولايات الأمريكية للدفاع المشترك .

ولكن قوة الأمريكيين كانت ضعيفة ، والمعارك هينة ، فلم تؤثر فى موقف الجيش البريطانى . ولكن عندما صدر إعلان الاستقلال للولايات الأمريكية التى كانت قد اتحدت من قبل بعيدًا عن التاج البريطانى فى 4 يوليو 1776 ، انضمت باقى المستعمرات أو الولايات التى كانت مترددة إلى الاتحاد ، وانضم كثيرون إلى الجيش المشترك ، وبدأت المعارك الحربية تتطور بشكل خطير .

طارد الجيش البريطانى ، فلول الجيش الأمريكى المشترك ، وطردهم من الولايات الساحلية خاصة نيويورك . ثم تعقبهم عبر ولاية نيوجيرسى . حيث منى جيش الثورة بخسائر فادحة ، وهرب الكثيرون من الميدان وعادوا إلى أعمالهم . وانخفض عدد الجيش إلى بضعة آلاف يعانون الانكسار والجوع وقلة التسليح ، ولكنهم برغم ذلك صمدوا بعزم ورفضوا الاعتراف بالهزيمة .

وكان الجنرال تشارلز كورنواليس Charles Cornwallis ،

قائد القوات البريطانية واثقًا من هزيمة جيش الثورة الأمريكية . وأن مثل هذه الهزائم المتوالية سوف تخمد نيران الثورة فى باقى المستعمرات ، وأخذ يستعد للعودة إلى بريطانيا مكللاً بالنصر .

ولقد اعتقد واشنطون نفسه ، أنه ليس هناك فرصة لتفادى الهزيمة الشاملة ، وكتب لأخيه من مقر قيادته فى بنسلفانيا Pennslvania فى 18 ديسمبر 1776 رسالة يقول فيها « .. أعتقد أننا اقتربنا كثيرًا من الهزيمة النهائية . وما من أحد واجه صعوبات أقسى مما واجهناه » .

برغم هذه الرسالة المحفوظة حتى الآن ، فإن واشنطون استطاع بعد سبعة أيام فقط عبور نهر ديلاوير Delaware بجيشه فجأة . وأوقع أكبر الخسائر بالقوات التابعة للمستعمرين . وكان ذلك أول نصر حقيقى يحرزه الأمريكيون ، وحول مجرى حرب الاستقلال من اليأس الكامل إلى الآمال الرحبة . وتوالت الانتصارات الأمريكية حتى انتهت حرب الاستقلال الأمريكية عام 1783 . فما الذى حدث إذن خلال هذه الأيام السبعة ؟

كان صاحب هذا التحول الخطير هو جون وايتمان John Whitman الذى قام بمهام خطرة ومثيرة كجاسوس مجهول لحساب قائد جيش الثورة جورج واشنطون . ولم يكن هناك أحد على الإطلاق ، حتى أقرب المقربين من القادة إلى واشنطون يعرف شيئًا عن دور وايتمان .

فى عصر يوم 22 ديسمبر 1776 ، ظهر وايتمان وهو يسير غرب مدينة ترينتون Trenton برغم الجو الشديد البرودة . وكان معروفًا بولائه للإنجليز كإيرلاندى يجرى فى عروقه دماء إسكتلندية من ناحية والدته . وقد خرج فى ذلك اليوم للبحث عن ثور برى أو بعض الغزلان يقدمها إلى الجيش البريطانى . وبينما كان يحاول مطاردة غزال لصيده ، شاهده فارسان من القوات الأمريكية . وعرفا من اسمه أنه يعمل لحساب البريطانيين كجزار ، وربما كان جاسوسًا لهم ، فاعتقلوه وأخذوه إلى قائدهم جورج واشنطون .

شكرهم القائد ، وصرف كل من كان فى غرفته حتى يستجوب الجاسوس المعتقل . وأمر حراسه على الباب بإطلاق النار عليه إن حاول الفرار . ولكنه ما إن أغلق الباب ، حتى ابتسم بترحاب ، وكانت هذه هى المرة الرابعة التى يلتقى فيها واشنطون مع وايتمان .

جرت المقابلتان الأولى والثانية قبل ذلك منذ عام ونصف العام فى فيلادلفيا . بعد فترة قصيرة من إسناد قيادة الجيش الخاص بالثوار لجورج واشنطون . وفى المرة الأولى قدم وايتمان ما يثبت إعفاءه من خدمة الجيش البريطانى ، ثم وثيقة تؤكد ثقة الإنجليز به . وعرض على واشنطون التجسس لحساب جيش الثوار ، مع إيهام القيادة البريطانية بأنه يتجسس لحسابهم كعميل مزدوج . وأكد أنه يفعل ذلك لرغبته فى خدمة وطنه أيرلاندا ، التى تكافح فى سبيل الاستقلال عن بريطانيا . وقبل واشنطون العرض ، واتفق معه أن يعمل فى الجيش البريطانى كمورد للمواد التموينية واللحوم ، لأداء مهمة التجسس المزدوجة . ثم قابله بعد ذلك عند انسحاب جيش الثوار من ولاية نيويورك .

أما فى هذا الاجتماع الرابع ، فقد قدم وايتمان إلى واشنطون خريطة بمواقع القوات البريطانية ، واستحكامات مدينة ترينتون . والتى يتولى الكولونيل يوهان رول Johann Roll ـ الألمانى ـ قيادة الفرقة الأجنبية من المرتزقة للدفاع عن المدينة . وكان هذا الكولونيل يستخف كثيرًا بقوات جيش الثوار .

وأمر واشنطون بإيداع وايتمان فى السجن حتى الصباح ، حتى يقدم لمحاكمة عسكرية . ولكن حدث فى أثناء الليل حريق

فى أحد المخازن ، فهرع حراس السجن للإسهام فى إخماد الحريق . وامتدت يد مجهولة وفتحت الباب ، وفر وايتمان من السجن إلى أن بلغ مدينة ترنتون القريبة . وهناك قابل الكولونيل رول ، وقص عليه ما حدث له ، ووقوعه فى الأسر وهروبه من السجن فى أثناء فوضى الحريق . وأكد له أن جيش الثوار فى حالة مزرية من الفوضى والضعف ، وأن الجنود يوشكون على التذمر والتمرد على قادتهم . فسعد الكولونيل بهذه الأنباء ، ومضى مطمئنا فى استعداداته للاحتفال بعيد الميلاد « الكريسماس » .

استشاط واشنطون غضبًا عندما علم بفرار السجين ، وصب غضبه الشديد على جنوده لإهمالهم فى حراسته . وفى نفس الوقت ، أرسل رسالة عاجلة إلى أحد قادته يأمره فيها بالهجوم على ترينتون فجر يوم عيد الميلاد 25 ديسمبر .

كاد الكولونيل رول يقضى وقتًا ممتعًا فى منزل أحد كبار التجار بمدينة ترينتون حين هرع إليه أحد الفلاحين فى المنطقة من الموالين للبريطانيين . ثم طلب لقاء الكولونيل شخصيًا ، ولكن الحارس منعه بعنف ، فأعطاه رسالة قصيرة ينبئه بزحف الجيش الأمريكى ، فطواها رول دون أن يقرأ ما فيها ، ووضعها فى جيبه ومضى فى شرابه .

قرب الفجر ، توجه الكولونيل رول إلى مقر قيادته ، واستسلم للنوم ونسى الرسالة تمامًا ، وكذلك فعل الجنود والضباط بعد الاستمتاع بحفلة عيد الميلاد .

قبل أول ضوء فى يوم عيد الميلاد 1776 ، عبر جيش الثوار نهر ديلاوير ، وتسللوا بهدوء وسط الضباب الكثيف ، ثم انقضوا مرة واحدة على جميع المواقع والاستحكامات العسكرية التى حددها وايتمان على الخريطة ، واستيقظ جنود الفرقة الأجنبية مذعورين ، وحاول الكولونيل لم شمل قواته المبعثرة ، ولكن دون جدوى . وقتل الكولونيل ومعه أكثر من 160 ضابطًا وجنديًا فى معركة قصيرة مباغتة . ووقع فى الأسر حوالى 900 جندى ، بينما فر المئات فى الغابات المحيطة على غير هدى . واستولى جيش الثوار على مدينة ترينتون ، وكان هذا النصر هدية كبيرة لجيش الثوار من هدايا عيد الميلاد .

واصل وايتمان بعد ذلك القيام بدوره الخطر والمثير فى عمليات التجسس ، حتى انتهت حرب الاستقلال تمامًا عام 1783 ، برحيل الجيش البريطانى نهائيًا عن المستعمرات أو الولايات المتحدة الأمريكية .

حاول بعض الأمريكيين كثيرًا الفتك بجون وايتمان ، لاعتقادهم الراسخ أنه كان يعاون الأعداء . ولكن كلما



انقض جيش الثوار على الاستحكامات البريطانية ، كما حددها الجاسوس ، واستولى على مدينة ترينتون .

همت الجماهير بالاعتداء عليه والانتقام منه ، كانت هناك دائمًا يدا خفية تمتد لإنقاذه بطريقة ما .

وحدث يومًا أن جمعًا غفيرًا من الأمريكيين المتحمسين حاصروا منزله مع زوجته وأولاده ، وهددوا بإحراق المنزل بالكامل ، إذا لم يستسلم لهم وايتمان ويخرج من المنزل لشنقه وحده . فخرجت إليهم زوجته ، وأطلعتهم على رسالة من جورج واشنطون يوصى فيها بالمحافظة على وايتمان وأسرته ، فانصرفوا طاعة لأوامر قائدهم .

ولكن كل هذه الشكوك حول وايتمان لم تتبدد تمامًا ، إلا عندما أقبل واشنطون وحوله كبار الضباط ، وصافح وايتمان ووالده وزوجته وأولاده جميعًا . وجلس معهم فى شرفة منزله وقتًا طويلاً . فزالت كل الريبة عن وايتمان وأسرته . وعندما انتخب واشنطون رئيسًا للولايات المتحدة عام 1789 منح وايتمان أعلى وسام فى الجمهورية الناشئة ، ومعاشًا شهريًا من خزانة الدولة يضمن له ولأسرته حياة كريمة .

بتصرف مختصر عن المصدر :

U.S. News And World Report Magazine, by Leanard Folger, dated Dec. 1957.

Washington D.C, U.S.A



واصل جيش الثوار الأمريكى انتصاراته بعد ذلك ، حتى رحيل الجيش البريطانى وانتهت حرب الاستقلال ، بمعاونة الجاسوس الخفى .

٩ - إهمال متسرع كشف جاسوسًا رهيبًا ..

[بقلم : إدجار هوفر]

فى أبريل 1957 ، استدعت المخابرات الروسية KGB الكولونيل رينو هايهانن Reino Hyhanen من عمله فجأة كموظف مدنى ضمن البعثة الدبلوماسية فى القنصلية الروسية فى نيويورك . وأربك هذا الاستدعاء غير المتوقع الكولونيل رينو كثيرًا ، فهو يعرف مايمكن أن يحدث للجواسيس الذين لايرضى عنهم رؤساؤهم .

خلال رحلته فوق السفينة إلى فرنسا ، ومنها إلى موسكو ، توصل رينو إلى قرار لارجعة فيه . وعندما وصل إلى باريس توجه على الفور إلى السفارة الأمريكية هناك . وقال بصراحة «إننى ضابط فى مخابرات دولة كبرى ، وكنت أعمل طوال السنوات الخمس الماضية فى الولايات المتحدة . وإنى أود مساعدتكم » .

وكان لابد من التعاون لتقديم مثل هذه المساعدة ، فوافق الكولونيل رينو . وعلى ذلك أعيد بالطائرة مرة أخرى إلى نيويورك ، حيث أدلى باعترافات خطيرة عن

عمله فى الولايات المتحدة خلال السنوات السابقة ، إلى رجال مكتب التحقيقات الفيدرالية FBI .

كان الكولونيل رينو قد جاء إلى الولايات المتحدة فى أكتوبر 1952 ، وكان يؤدى أعمالاً روتينية . ولكن فى عام 1954 وضع تحت إشراف شخص آخر باسم مارك Mark إلى أن استدعى فجأة إلى موسكو . ولذلك كان لابد من القبض على مارك هذا فى أقرب وقت ممكن .

لم تكن الأوصاف التى أدلى بها الكولونيل رينو ، تتفق مع أى شخص أجنبى فى ملفات مكتب التحقيقات الفيدرالية ، كما أنه لايعرف أين يسكن أو يعمل . وكانت مهمة الكولونيل فى الولايات المتحدة أن يصوغ تقارير عن كل المنشآت العسكرية والأسلحة والمعدات الجديدة ، وقد اتخذ لنفسه اسمًا كوديًا للتعامل به وهو «فيك» Vik . وبالطبع لم يكن أى منهما يعرف اسم الآخر الحقيقى .

وكان الكولونيل رينو ، أو « فيك » يتصل بمارك عن طريق ترك الرسائل فى أماكن خفية فى نيويورك ، كأحد أعمدة السور المعدنى غرب كوبرى ماكومبز Macombs ، أو عمود مصباح فى فورت تريون بارك Fort Tryon Park . أو أماكن

رياضية أخرى فى سنترال بارك Central Park وحديقة بروسبيكت بارك Prospect Park فى حى بروكلين وغيرها من الأماكن .

وكان الاثنان يضعان علامات خاصة بالطباشير على سور معين فى سنترال بارك ، ليعرف كل منهما مكان الرسالة والميعاد القادم . وكان اللقاء الأول المباشر بينهما فى إحدى دور السينما فى فلاشينج Flushing بجزيرة لونج أيلاند . وقد طلب مارك من الكولونيل رينو أن يرتدى رباط عنق يحوى خطوطًا زرقاء وحمراء ، وأن يدخن البايب Pipe . وبعد ذلك تقابلا عدة مرات فى محطات المترو تحت الأرض والشوارع المزدحمة .

وتذكر الكولونيل رينو ، أنه فى إحدى المرات الأخيرة ، وضع رسالة فى فجوة بدرجات سلم بحديقة بروسبكت . وقد لاحظ عمال الحديقة هذه الفجوة فسدوها بالأسمنت بعد أيام من وضع رينو رسالته . ولما لم يتلق ردًا من مارك فقد ساوره القلق على الرسالة . وعندما قام رجال المباحث بحفر الأسمنت وجدوا ماسورة صغيرة بغطاء تحوى رد مارك جاء فيها «لم يحضر أحد للاجتماع يوم 8 ، 9 لماذا ؟ هل يجب أن يكون فى الداخل أو الخارج ؟ هل الوقت غير مناسب ؟ يبدو أن المكان غير ملائم ؟ أرجو التحقق من ذلك ! »

أخذ رجال مكتب التحقيقات الفيدرالية يبحثون فى كل اتجاه ، ويراقبون كل الأماكن التى كانت محل تبادل الرسالات . وفى نفس الوقت يجرى استجواب الكولونيل رينو مرارًا وتكرارًا وبنفس الأسئلة ، لمعرفة أى خلاف ولو صغير فى إجاباته . مع عدم الإرهاق لتنشيط ذاكرته برغم مرور الأيام بسرعة .

وتذكر الكولونيل رينو ، أنه كان فى لقاء مع مارك . وكان فى حاجة ماسة إلى أفلام دقيقة للتصوير ، مع بعض الأدوات الأخرى . ولما كان الوقت متأخرًا وفى نهاية الأسبوع والمحلات مغلقة ، فقد اصطحبه مارك إلى غرفة فى حى بروكلين لتسليمه ما يطلب .

وكان هذا الخطأ المتسرع من الجاسوس الرهيب ، هو بصيص الأمل الوحيد للوصول إليه . ولكن رينو لا يعرف العنوان ، فقد كان الوقت ليلاً ، وإن كان يتذكر أن الغرفة فى الطابق الرابع أو الخامس ، ثم هذا كل شىء .

أخذ رجال المباحث يجوبون شوارع حى بروكلين Brooklyn ، بحثًا عن غرفة غامضة فى الطوابق العليا . وبعد أيام من الشقاء ، تركزت شكوكهم حول استوديو للتصوير فى المبنى

رقم 252 بشارع فولتون Fulton . حيث توجد لافتة باسم إميل جولدفوس Emil Goldfus المصور فى الطابق الخامس . وأكد السكان أن جولدفوس لم يحضر إلى الاستوديو الخاص به منذ أواخر أبريل ، أى فى الوقت الذى كان فيه الكولونيل رينو مبحرًا فيه إلى فرنسا .

وضعت رقابة دائمة ليل نهار قرب المبنى ، وفى 28 مايو شاهد أحد رجال المباحث رجلا يشبه إلى حد كبير الأوصاف التى أدلى بها الكولونيل رينو عن مارك . وكان هذا الرجل يجلس على مقعد فى حديقة أمام مبنى شارع فولتون مباشرة . وبدا عليه أنه ينتظر شخصًا ما ، ولكنه انصرف بعد فترة طويلة قبل المساء . وقرر رجل المباحث ألا يقتفى أثره ، فإذا كان هو مارك المطلوب ، فسوف يعود مرة أخرى .

استمرت عمليات المراقبة لأسبوعين متتاليين ، سواء للمبنى أو لسكانه أو أماكن إخفاء الرسائل . وأخيرًا شاهد رجال المباحث أضواءً تنبعث من الأستوديو فى الساعة العاشرة من مساء يوم 13 يونيو ، وبعد حوالى ساعتين أطفئت الأضواء ، ثم خرج من المبنى رجل يشبه الشخص الذى كان جالسًا فى الحديقة .



وضعت البناية تحت الرقابة الدائمة، للكشف عن صاحب الأستوديو الشبح.

فى هذه المرة تتبع رجال المباحث الرجل ، حتى محطة المترو تحت الأرض ، ثم إلى مانهاتن Manhattan ، ثم إلى فندق لاتام Latham فى الشارع رقم 28 شرق . وعرض رجال المباحث صورة للمصور جولدفوس ، فأكد رينو أنه هو مارك .

تمكن رجال المباحث من فتح باب الأستوديو خفية ، وكان يعج بأدوات التجسس الحديثة ، وجهاز راديو «لاسلكى» بالموجة القصيرة . ودفاتر للشفرة وآلات التصوير ، وأفلام دقيقة للكاميرات الصغيرة . ومجموعة غريبة من الأدوات البريئة كأقلام الحبر والرصاص وفرشاة الحلاقة وغيرها ، ولكنها مجوفة من الداخل لإخفاء ونقل الرسائل والأفلام الدقيقة . وبعد تصوير المكان غادر رجال المباحث الأستوديو .

فى نفس الوقت كانت هناك مراقبة دائمة للمصور جولدفوس فى الفندق . وتبين أنه سجل اسمه فى الفندق على أنه مارتن كولينز . وفى يوم ٢١ يونيو 1957 اعتقلته إدارة الهجرة والجنسية الأمريكية ، بتهمة دخول البلاد بطريقة غير مشروعة عن طريق كندا ، وأنه لم يسجل اسمه كأجنبى .

كانت غرفة جولدفوس فى الفندق تمتلئ هى الأخرى بمعدات التجسس ، وتحقيقات الشخصية المزورة . وقد رفض

أن يذكر شيئًا عن نشاطه كجاسوس . ولكنه اعترف باسمه الحقيقى ، وهو الكولونيل ـ عقيد ـ رودولف إيفانوفتش آبل Rudolf Ivanovich Abel ، وأنه ضابط فى المخابرات الروسية ، دخل البلاد بطريقة غير مشروعة عام 1948 عن طريق كندا . وكان فى الخمسين من عمره عند القبض عليه .

ويبدو أن هذا الرجل مارك ، أو المصور قد أقام شبكة واسعة للتجسس فى الولايات المتحدة فور وصوله إلى الولايات المتحدة لجمع المعلومات العسكرية أساسًا ، ولكنه رفض الإدلاء بأى شىء آخر .

قُدم الكولونيل آبل أو مارك إلى محكمة فيدرالية فى أكتوبر 1957 . وكانت التهمة الموجهة إليه أنه تآمر لنقل معلومات سرية عن الدفاع الأمريكى إلى دولة أجنبية . وشهد ضده الكولونيل رينو الذى كان يعمل تحت رئاسته . وفى 15 نوفمبر صدر الحكم عليه بالسجن 30 عامًا . وجرى استئناف الحكم ، ولكن المحكمة أيدته .

بتصرف مختصر عن المصدر :

This Week Magazine, An Article Titled « The Case of The Faceless Spy » . by Edgar Hoover, dated 23 October 1965 : 285 Lexington Avenue, New York, N.Y. , U.S.A

١٠ ـ السكرتير الذى خدع السفير البريطانى :.

[بقلم : روبرت كيمبل]

فى مساء يوم 28 أكتوبر 1943 ، استيقظ لودفيج مولر Ludveg MÜller ، الملحق التجارى بالسفارة الألمانية بالعاصمة التركية أنقرة ، على رنين التليفون فى منزله القائم ضمن مبانى السفارة . وكان المتحدث نائب السفير ، ويطلب منه الحضور على الفور .

توجه مولر إلى منزل نائب السفير بسرعة ، فقابله على الباب وقال له «فى الصالون رجل مجهول ، ألبانى الجنسية يدعى ديللو ، ولديه موضوع يهمك الاستماع إليه . وعندما تنتهى من الحديث معه ، أوصله إلى خارج مبانى السفارة ، وأوصد الباب ! » وكان مولر يعمل صحفيًا فى فيينا ، ولكنه انضم إلى الحزب النازى ، وعين ملحقًا تجاريًا فى أنقرة . ولكن يدخل فى اختصاصاته الأخرى الإشراف على عمليات التجسس والمخابرات الألمانية فى منطقته .

التقى مولر برجل قصير القامة ، أشيب الشعر ، له

تقاطيع حادة ، وعرف نفسه باسم ديللو فقط . وقال بلغة إنجليزية سليمة إنه يمكنه أن يقدم خدمة كبيرة للحكومة الألمانية ، ولكنه يطلب فى مقابل ذلك أجرًا عاليًا . وأن فى استطاعته أن يسلمه صورًا فوتوغرافية لأهم الوثائق فى السفارة البريطانية بأنقرة . وأن أجره على كل سجل منها خمسة آلاف جنيه أسترلينى تدفع نقدًا .

فسأله مولـلر عن طبيعة هذه الوثـائق ، وعن كيفية حصوله عليها ، وقد تكـون مزورة ، بل وقد يكون هو نفسه عميلاً بريطانيًا ! ولم يرد ديللو عن كل هذه الأسئلة ، ولكنه استشاط غضبًا ، ووقف بعصبية وأشـار فى اتجاه السفارة الروسية وقـال « هنـاك آخرون غيركم يمكنهم الدفـع إذا مـا رفضتم ! » ثم استأنف حديثـه مؤكـدًا أن ما يعرضه عليه يستحق أكثر من الثمن المطلوب . وأنـه يعرف أنه لابد من استشـارة السفير الألمـانى للوصول إلى قـرار . ولذلك سـوف يعطى مولـلر ـ كمنـدوب للمخابرات الألمانية ـ فرصة من الوقت إلى ما بعد ظهر اليوم التالى للوصول إلى قرار نهائى .

أشـار مولـلر أنه يحتـاج إلى مزيد من الوقت للاتصال

برؤسائه فى برلين أيضًا . ولكن ديللو أصر على أنـه سوف يتصل به من تليفون عمومى فى الساعة الخامسة تمامًا من عصر اليوم التالى . فـإذا كـان هنـاك قبـول لعرضـه ، فسوف يقابله شخصيًا فى الساعة العاشرة من مساء نفس اليوم فى حديقة معينـة . على أن يسلمه صـورًا سلبية لأربعة سجلات سرية للغاية ، ويتسلم فى مقابلها 20 ألـف جنيه إسترلينى نقدًا . ثم غادر السفارة الألمانية .

فى اجتماع عاجل بين مولـلر ونائب السفير والسفير الألمانى فى الصباح المبكر ، قرر الجميع عرض الأمر على السلطات العليا . وفى الحال اتصل السفير بوزير الخارجيـة الألمانيـة يواكيم فون ريبنتروب Joachim Von Ribbentrop فى برلين . وطلب منـه فى حالـة الموافقـة إرسـال المبلـغ فى الحـال . وبالفعل وصل المبلغ بعد ظهر نفس اليوم بالطائرة .

وطبقًا للاتفاق اتصل ديللو تليفونيًا فى السـاعة الخامسـة عصرًا ، فأبلغه مولـلر بالموافقة . وفـى المساء تقابل الاثنـان فى حديقة عامة ، حيث تسلم مولـلر علبـة أفلام صغيرة من الألومينيوم ، كمـا تسلم ديللـو المبلـغ المطلوب دون تبادل أى حديث .

أسرع موللر إلى دار السفارة الألمانية، وهو يرتجف من الخوف. فماذا يمكن أن يحدث له، لو تبين أن هذه الأفلام مجرد خدعة، أو وثائق مزيفة، أو أنه وقع فى براثن عميل بريطانى لدس معلومات غير حقيقية لخداع القيادة الألمانية.

فور وصوله إلى مكتبه استدعى المصور المعين من قبل جهاز الأمن الجيستابو للأعمال السرية. ثم لحق بهما نائب السفير، والسفير نفسه فرانز فون بابن Franz Von Papen، لدقة الموقف الحرج الذى وضعوا أنفسهم فيه.

عندما ظهرت الصور الإيجابية المكبرة، تبين للثلاثة حقًا أن السجلات السرية الأربعة تستحق الثمن الذى دفع لشرائها. فقد كان أحدها يتضمن كشفًا بعملاء المخابرات البريطانية فى تركيا. والثانى ملخصًا لتقرير أمريكى عن كميات وأنواع الأسلحة الأمريكية التى سلمت إلى روسيا حتى ذلك الوقت. والثالث عبارة عن مذكرة أرسلها السفير البريطانى فى أنقرة إلى لندن عن محادثاته الأخيرة مع وزير الخارجية التركى نعمان منمنسو أوغلو، لحث

تركيا على إعلان الحرب على ألمانيا. والأخير عن القرارات التى توصل إليها وزراء خارجية، أمريكا وبريطانيا وروسيا، خلال المؤتمر الذى عقد مؤخرًا فى موسكو.

وابتهج السفير الألمانى فون بابن، وقال بحماس «يبدو أننا استخدمنا رجلاً صغيرًا ولكنه على جانب كبير من المهارة. ولن يمكننا أن نسميه ديللو لمجرد أن ذلك اسمه الحقيقى أو الحركى. وعلينا أن نطلق عليه اسم سيسرو Cicero، فقد كان هو الآخر رجلاً ماهرًا» وقد كان السفير يشير بذلك إلى الخطيب السياسى الرومانى ماركوس سيسرو ـ 1040 إلى 1099 ميلادية .. ولذلك ظهرت هذه التبادلات فى الوثائق الألمانية باسم «العملية سيسرو».

قام مندوب خاص من السفارة الألمانية بتوصيل هذه الصور إلى برلين، حيث عرضها وزير الخارجية ريبنتروب على هتلر. فأبدى رغبته فى الاطلاع على ما يمكن أن يحصل عليه سيسرو من هذه الوثائق. وطلب ريبنتروب من السفير الألمانى استخدام الرجل بصفة دائمة ولكن بثمن أقل إن أمكن.

وافق سيسرو على أخذ 15 ألف جنيه استرلينى عن كل 20 صورة واضحة بعد مساومات طويلة . وبلغ ماتسلمه الرجل أكثر من نصف مليون جنيه استرلينى خلال الأشهر الخمسة التالية . نشأ نوع من المودة بين موللر وسيسرو ، حتى إنه أفضى إليه بالظروف التى مكنته من الحصول على هذا العدد الكبير من الوثائق السرية للغاية .. وقال له إن السفير البريطانى السيد ناشبول هيو Nashpaul Hoe شغوف للغاية بالموسيقى الكلاسيكية . وهو يحفظ عن ظهر قلب عددًا من هذه الأوبريتات الإيطالية ، التى كان يغنيها استجابه لطلب السفير . وهكذا استحوذ سيسرو على ثقة السفير البريطانى ، فعينه سكرتيرًا خاصًا له .

وفى أحد الأيام اكتشف مفتاحًا فى أحد جيوب سترته ، وكان هو مفتاح خزانة السفير ، فصنع منه مفتاحًا مماثلاً . واشترى سيسرو آلة تصوير صغيرة ، ثم أخذ يتدرب عليها فى تصوير المجلات . ثم السجلات البالغة الأهمية فى خزانة السفير ، عند وجوده بالخارج أو فى أثناء نومه .

وبرغم إعجاب موللر بعمل سيسرو ، إلا أنه لم يتقبله على الإطلاق . فقد كان همه الوحيد جمع أكبر قدر من المال ، ولايعبأ بما يجرى حوله ، أو يهتم بنتيجة الحرب . وقد عمل كجاسوس ألمانى ، لاعتقاده فقط أن الألمان سوف يدفعون أعلى سعر للحصول على الأسرار البريطانية .

وبالفعل كانت المعلومات التى سلمها سيسرو إلى الألمان لاتقدر بثمن . وكان كل ما دار فى مؤتمرات القمم للحلفاء فى موسكو وطهران والقاهرة معروفة تمامًا للألمان ، بما فيها الحديث عن فتح جبهة ثانية بغزو ساحل أوروبا ، للتخفيف عن سير العمليات فى الجبهة الشرقية والضغط على الجيش الروسى .

وعلم هتلر من الوثائق السرية أن بريطانيا تحاول دفع تركيا لإعلان الحرب ضد ألمانيا ، لفتح جبهة أخرى تمتص جانبًا من المجهود الحربى الألمانى . وكان ذلك أيضًا هدف القيادة الروسية ، ولكن بهدف إضعاف تركيا حتى تصبح عاجزة عن مقاومة سيطرتهم بعد الحرب .

لذلك ركز السفير الألمانى فون بابن على إقناع الحكومة التركية بالاحتفاظ بموقفها الحيادى خلال الحرب . واعتمد كثيرًا فى القيام بهذه المهمة على بعض المعلومات التى استخلصها من الوثائق البريطانية المصورة . حتى إن وزير الخارجية التركى اعتقد بوجود تسرب للأسرار البريطانية فى مكان ما ، وأن الألمان على علم كامل بالأحداث السياسية والعسكرية الجارية فى دول الحلفاء .

وأسرع السفير البريطانى بإرسال برقية لاسلكية بالشفرة إلى المخابرات البريطانية الخارجية M.I.6 بشكوك وزير الخارجية التركية . وعلى ذلك قررت أوساط الوايتهول Whitehall ـ الحكومة البريطانية فى لندن ـ تركيب أجهزة إنذار فى جميع السفارات البريطانية . ووصل بالفعل جهاز إنذار ضخم إلى السفارة البريطانية فى أنقرة ، حيث أسهم سيسرو فى تركيبه . وبذلك عرف كيف يوقف الجهاز عن العمل ، واستمر فى عبثه بخزانة السفير .

كانت المخابرات البريطانية قد كلفت بعض عملائها فى أنقرة لمراقبة تحركات الأعضاء الدبلوماسيين والموظفين خارج السفارة . ولاحظ أحدهم أن سيسرو يكثر من الاتصالات التليفونية العمومية فى مكالمات مجهولة ، فلم يكن يستخدم تليفونات السفارة ، حيث إنه يعرف أنها تحت المراقبة الداخلية وأيضًا الخارجية . ثم تبين له من متابعته أنه يلتقى بأحد الأشخاص العاملين فى السفارة الألمانية فى أماكن عامة لدقائق ، مرة أو مرتين كل أسبوع . واتجهت الشكوك كلها نحو سيسرو .

ولكن أمر السكرتير الخاص انكشف بصورة مثيرة وفى مكان آخر ، بعد حوالى خمسة أشهر من بدء «عملية



راقب عملاء المخابرات البريطانية فى أنقرة السكرتير ديللو ، ولاحظوا أنه يستخدم التليفونات العمومية ، ويقابل موظفًا فى السفارة الألمانية بانتظام

سيسرو » .. ففى 6 أبريل 1944 اختفت إحدى السكرتيرات المحليات من العاملين فى السفارة الألمانية ، وكشفت أمر سيسرو . وتبين بعد ذلك أنها كانت تعمل لحساب المخابرات البريطانية . وبرغم أن هذه السكرتيرة لم تعرف حجم العملية ، أو تطلع على كل الوثائق البريطانية المصورة ، إلا أنها شاهدت بالصدفة إحدى الوثائق السرية المصورة فى لمحة خاطفة وعليها الشعار البريطانى واسم السفارة .

شعر سيسرو من عمليات المراقبة من حوله ، ومع ذلك استمر فى تجاهل الأمر . إلى أن حاول يومًا إبطال جهاز الإنذار فانطلق فى أرجاء السفارة ، بعد أن غير رجال المخابرات توصيلاته . ومع ذلك استطاع سيسرو الهرب من دروب السفارة وسورها . وهاجر إلى جنوب أمريكا ، حيث عاش هناك بما جمعه من مال . وقد برأت محكمة نورنبيرج Nurnberg لمحاكمة مجرمى الحرب النازيين عام 1946 ، ضابط المخابرات موللر من التهم الموجهه إليه . إذ كان مجرد موظف يؤدى عمله .

بتصرف عن المصدر :

Phoebus Magazine, By Robert Kemble, dated Aug. 1977.
169 Wardour Street, London, U.K.



محكمة نورنبرج لمجرمى الحرب النازيين عام 1946 ، برأت ضابط المخابرات الألمانية ، باعتباره موظفا يؤدى عمله .

١١ـ برقية أجبرت أمريكا على دخول الحرب ..

[بقلم : بربارا تاكمان]

فى صباح يوم 16 يناير 1917 ، التقط قسم الاستماع فى المخابرات البحرية البريطانية ، رسالة ألمانية لاسلكية طويلة . فأرسلها الضابط المناوب إلى الغرفة رقم 40 الخاصة بحل الشفرة . وكان بالغرفة فى ذلك الوقت ، اثنان من الموظفين المدنيين لديهم موهبة خاصة لفك الشفرة . أولهما ويليام مونتجومرى William Montgomery ، وثانيهما نيجل دى جراى Nigel De Gray . ولم يكن أى منهما يعلم أن هذه الرسالة الطويلة ، تتضمن الحل الوحيد للركود الشامل والتعادل بين القوى فى جبهات القتال .

كان قد مضى على معارك الحرب العالمية الأولى حوالى 53 شهرًا ، والتى اندلعت فى أغسطس 1914 . وكانت المعارك العسكرية طاحنة بالفعل ، حيث استخدمت الغواصات والطائرات والدبابات والغازات السامة لأول مرة ، فضلاً عن المدافع والرشاشات والألغام بكثافة . وتجمدت جبهات القتال تمامًا فى حالة من توازن القوى ، وحفرت الخنادق الطويلة فى

اتسمت معارك الحرب العالمية الأولى بالركود والدموية والبأس . لتوازن القوى بين الطرفين .

كلا الجانبين كخطوط للدفاع . وتكبد الطرفان خسائر فادحة للغاية ، ففى معركة « السوم » التى جرت فى الشتاء الثالث للحرب ، حاول الحلفاء اختراق « خط هيندنبورج العسكرى Hindenburg » الذى اقامته القوات الألمانيـة ، ولكنهم لم يستطيعوا اختراقه . واستمرت المعارك طوال أشهر الشتاء . وكان من نتيجة ذلك أن قتل أكثر من مليون جندى من الطرفين فى هذه المعركة وحدها كمثال . بل إن بريطانيا فقدت أكثر من 60 ألف جندى فى يوم واحد فقط فى أثناء المعركة .

وحدث نوع من التوازن المرعب والمتربص على كافة الجبهات ، فبرغم أن الألمان كانوا يحتلون معظم دول أوروبا . إلا أنهم اضطروا لتعبئة الشبان والفتيات فى سن صغيرة ، مع اعتصار الشعب لدعم الجيش . أما فى جانب قوات الحلفاء فقد كان الوضع أسوأ بكثير ، حيث هزمت القوات البريطانية ، واستنفد الفرنسيون قواهم ، كما أخذت القوات الروسية فى الاحتضار ، ودمرت رومانيا تمامًا وغيرها من الدول .

عكف الموظفان على فك شفرة البرقية الألمانية ، وكانا يتوقعان رسالة طويلة أخرى بين ألمانيا والولايات

المتحدة الأمريكية حول التفاوض من أجل الصلح بين القوات المتحاربة فى أوروبا . وكان هذا يمثل هدفًا ساميًا للرئيس الأمريكى وودرو ويلسون Woodrow Wilson . وقد حرص الألمان على جعله يواصل الحديث حول هذا الموضوع لضمان حياد الولايات المتحدة . بينما كانت الدول المتحالفة تشعر بالسخط لمثل هذه المحادثات ، فقد كانوا يريدون قوة أمريكا وليس محادثاتها .

من مقارنة المعلومات التى توفرت ومن مقارنة مئات البرقيات الملتقطة ، والاطلاع على نسخة من كتاب الشفرة الدبلوماسية الألمانية رقم 13040 ، تبين للموظفين أن هذه البرقية التى تحمل رقم 13042 مختلفة تمامًا . ثم اكتشفا أن الرسالة موقعة من وزير الخارجية الألمانية أرتور زيمرمان Arthur Zimmermann . وأنها مرسله إلى السفير الألمانى فى واشنطون الكونت يوهان بيرنستورف Johann Bernstorff .

كان الموظفان يتوقعان رسالة تقليدية ، حينما ظهرت كلمة « المكسيك » ، ولكن ماذا يمكن أن يقوله الألمان حول المكسيك ؟ ثم وجدا كلمة «تحالف» و« اليابان » وكانت اليابان وقتها مع دول التحالف ، فهل يمكن تبدل موقفها ؟ وبعد ساعتين من الجهود المتعجلة ، ظهر للموظفين أن

البرقية تحوى رسالتين منفصلتين : الأولى عن استئناف حرب الغواصات بلاقيود ، والثانية غير مفهومة وتستعصى على الحل لإبلاغها إلى الوزير الألمانى المفوض فى المكسيك فون إيكارت Von Eckhart وأسرع الموظف مونتجومرى بإبلاغ مدير المخابرات البحرية بأهمية البرقية .

وفى نهاية اليوم أمكن حل جزء محدود من شفرة البرقية ، التى تضم كل فقرة منها مجموعات كثيرة من الأرقام . ولكن الصورة اتضحت بشكل يمكن فهمه . فالرسالة الأولى موجهة للسفير بيرنستورف حول حرب الغواصات «بلاقيود» . ومعنى ذلك أن الغواصات الألمانية ستضرب كل السفن التى تتواجد فى المناطق الحربية بلا إنذار ، سواء أكانت من سفن الدول المعادية أو المحايدة . على أن يقدم هذا الإعلان إلى الولايات يوم 31 يناير 1917 ، أى قبل يوم واحد فقط من بدء عمل الغواصات .

أما الرسالة الثانية التى تضم 155 مجموعة من الرموز وسرية للغاية ، فكانت تستعصى على الحل السريع ، واستغرق الأمر أسابيع من المحاولات والصبر الدءوب ،

ولكنها كانت الأهم . إذ تعد المسكيك على مساعدتها فى استرجاع أراضيها التى فقدتها فى تكساس ، وأريزونا ، ونيومكسيكو فى حروب سابقة مع الولايات المتحدة ، إذا هى قامت بالغزو . كما تشير إلى نوع من التحالف مع اليابان لمهاجمة الولايات المتحدة فى المحيط الباسفيكى .

فحتى لو أعلنت الولايات المتحدة الحرب على ألمانيا بسبب حرب الغواصات غير المقيدة ، فإنها سوف تكون مشغولة فى جبهتين أخريين فى المكسيك عبر الحدود البرية الجنوبية ، وفى المحيط الباسفيكى مع اليابان .

وكانت بريطانيا تتوقع استئناف حرب الغواصات ، وكما جاء فى البرقية فإن مثل هذه الحرب «سوف تجبر بريطانيا على الصلح خلال ، أشهر » ، وإلا ماتت جوعًا . إذ كان الرئيس الأمريكى ويلسون ، كان قد وضع قيودًا لاستخدام الغواصات فى الحرب . وكان على الغواصة أن تظهر على السطح وتقدم إنذارًا قبل الهجوم ، وهو مايجعلها فريسة للنيران المعادية وإغراقها . ومع ذلك فقد قبل الألمان هذه القيود فى بداية الحرب ، لعدم توفر العدد الكافى منها . وأخذت الترسانات البحرية فى هامبورج وكيل فى تصنيع الغواصات بسرعة . إلى أن أصبح لدى

الألمان حوالى 200 غواصة لتركيع بريطانيا فى الوقت المناسب . فلم يكن هناك أحد يعتقد بالدور «المهذب» الذى كان يراه الرئيس الأمريكى للغواصات .

أدرك الكابتن البحرى ـ عقيد ـ ويليام هول William Hall ، مدير المخابرات البحرية فى الحال قيمة ما جاء بالبرقية الملتقطة من الجو ، فهى الأداة التى يمكن أن تدفع الولايات المتحدة لدخول الحرب ، وبالتالى إنقاذ بريطانيا من الجوع ، وجبهة القتال من الركود الدموى . ولكنه بعد أيام بدأ يواجه المشكلة المؤلمة التى تواجه خبراء أجهزة المخابرات دائمًا ، إذ كيف يمكن الاستفادة من المعلومات دون الكشف عن حل الشفرة ؟ فحتى فى المعارك الحربية ، يتفادى الخبراء تحذير وحداتهم المقاتلة مع تحمل بعض الخسائر . إذا كان مثل هذا التحذير سوف يؤدى إلى شك العدو فى معرفة سر شفرة برقياته السرية .

وأصبحت مشكلة الكابتن هول ، هو كيفية الكشف عن البرقية الألمانية للأمريكيين ـ عن طريق وزارة الخارجية البريطانية ـ دون أن يكشف لهم عن كيفية حصوله عليها . فالأمريكيون لن يصدقوا الأمر بسهولة ، لمجرد أن وزارة الخارجية البريطانية قدمتها لهم . وسوف

يستفسرون عن المزيد من التفاصيل ، وفى النهاية لابد من الكشف عن الحقيقة . وينهار قسم الاستماع الذى تعتمد عليه المخابرات البحرية تمامًا . وقد تمضى سنوات طويلة قبل إعادة تشغيله .

★ ★ ★

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى ، قامت سفينة بريطانية خاصة بقطع جميع الكابلات التليفونية والتليجرافية الخمسة بين أوروبا والولايات المتحدة عبر المحيط الأطلنطى . كما قامت بقطع الكابل الذى يربط بين غرب إفريقيا والبرازيل . وبذلك لم يكن هناك من وسيلة للقيادة الألمانية ، للاتصال بسفاراتها فى الأمريكيتين ، سوى الاتصالات اللاسلكية ، التى كانت تتم من محطة قوية للراديو قرب برلين . وعلى ذلك كانت جميع البرقيات الألمانية تلتقط من الهواء ، وتذهب إلى الغرفة رقم 40 فى المخابرات البحرية البريطانية .

وقد أقيم على الساحل البريطانى ، مجموعة من محطات الاستماع ، تتصل مباشرة بمقر وزارة البحرية ، حيث الغرفة 40 فى البدروم . ووجد الخبراء أن الألمان ، يغلفون

برقياتهم بشفرات إضافية ، أى أنهم يضعون الشفرة داخل شفرة أخرى ، باستخدام الحروف والأرقام بطريقة خاصة ، ثم يغيرون مفتاح الشفرة مرة كل 24 ساعة .

وفى 13 أكتوبر 1914 ، قدمت روسيا كتاب الشفرة البحرية الألمانية المبطن بالرصاص ، وجدته فى الطراد الألمانى ماجدبورج Magdeburg ، الذى أغرقه طرادان روسيان فى خليج فنلندا فى بداية الحرب . وفى ديسمبر 1914 تعلق بشباك سفينة صيد بريطانية صندوق حديدى لمدمرة ألمانية غارقة ، وكان يحتوى على كتاب الشفرة أيضًا . وتمكن الكابتن ويليام هول مدير المخابرات البحرية بطرق أخرى الحصول على أجزاء من الشفرة الدبلوماسية الألمانية والشفرة الخاصة بالجيش الألمانى البرى . كما أنه دعم محطات الاستماع بالفنيين حتى وصل عددهم إلى أكثر من 800 شخص ، والغرفة 40 ، بالكتبة والخبراء وأصبح عددهم حوالى 70 شخصًا . وبذلك أصبح لدى الغرفة 40 قاعدة متينة للقيام بعملها السرى .

* * *

ومع ركود الحرب ، والدفاع المستميت فى الخنادق ،

اتجه الألمان لوقف الإمدادات الأمريكية لدول الحلفاء . بجعلها تنشغل فى حربين مع المكسيك واليابان ، وإطلاق حرب الغواصات بدون القيود الأمريكية ، لإغراق سفن الإمدادات وإضعاف جيوش الحلفاء . وكانت اليابان قد أعلنت الحرب على ألمانيا فى 23 أغسطس 1914 وانتزعت بعض القواعد البحرية الألمانية فى المحيط الباسفيكى ، ولكن نشاطها العسكرى توقف عند ذلك . وأخذ الألمان فى التودد إلى اليابان لتغيير موقفها ، حيث كان من المعتقد أن الصدام بين اليابان والولايات المتحدة أصبح وشيكًا .

ومن ناحية أخرى كانت هناك ثورة عارمة فى المكسيك ، وشعور بالسخط على الولايات المتحدة . وفى ليلة 9 مارس 1916 أغار قائد الثوار بانشو فيلا Bancho Villa ، على بعض القرى والمدن فى ولاية نيو مكسيكو الأمريكية . مما دعا الرئيس ويلسون إلى إرسال قوة عسكرية بقيادة الجنرال جون بيرشينج John Pershing للقيام بحملة تأديبية . فقابلها الثوار والجماعات الأهلية الأخرى بأسلحة ألمانية . وأصبح وجود قوات أمريكية على الأراضى المكسيكية مصدرًا للمتاعب .

وكان هول يعرف أن المعلومات الخطيرة التى وردت فى برقية وزير الخارجية الألمانى، من شأنها أن تخرج الولايات المتحدة عن حيادها. ولكن إذا أعطى البرقية إلى وزير الخارجية البريطانى آرثر بلفور Arthur Balfour كى يستخدمها، ولم تدخل أمريكا الحرب، فمعنى ذلك أنه قد قامر بكل شىء وخسر الشفرة. وقرر الكابتن هول حجب هذه المعلومات عن حكومته مؤقتًا، فلعل أمريكا تدخل الحرب تلقائيًا بسبب حرب الغواصات غير المقيدة التى سوف يشنها الألمان.

* * *

وجه الرئيس الأمريكى نداءه الأخير للسلام فى خطابه أمام مجلس الشيوخ الأمريكى فى 22 يناير 1917، حيث تحدث عن «السلام بلا نصر». وتأثر السفير الألمانى بيرنستورف بكلمات الخطاب فناشد حكومته ببرقية عاجلة للاستجابة إلى نداء ويلسون. أو على الأقل منح فرصة للسفن المحايدة قبل إغراقها. ولكن برلين ردت عليه بأن الوقت أصبح متأخرًا، وأن الغواصات الألمانية فى المحيط فعلاً.

وفى اللحظة الأخيرة من انتهاء يوم عمل 31 يناير 1917، سلم السفير الألمانى «إعلان حرب الغواصات بلا قيود» - والذى سوف ينفذ فى صباح اليوم التالى مباشرة - إلى وزير الخارجية الأمريكى روبرت لانسنج Robert Lansing رسميًا.

كانت الولايات المتحدة تواجه الآن تحدى القوة الألمانية، فلم يعد هناك مايسمى «حرية الإبحار فى المحيطات». وظل العالم ينتظر بقلق رد الفعل الأمريكى لثلاثة أيام، وبعدها أعلن الرئيس ويلسون قطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا، وطلب من سفيرها الرحيل من واشنطون. وأكد الرئيس أن الاستفزاز الألمانى لن يدفعه إلى إعلان الحرب.

كان هناك خيبة أمل عارمة فى دول الحلفاء بعد خطاب الرئيس الأمريكى. وشعر الكابتن ويليام هول بحجم المأزق الذى هو فيه، إذ أصبح استخدام البرقية الألمانية السرية أمرًا لامفر منه. فأخرجها من خزانته، وتوجه لمقابلة وزير الخارجية البريطانية فى الخامس من فبراير، والذى شعر بسعادة كاملة برغم وجود أجزاء ناقصة لم تكن قد حلت بعد.

ولكن بقيت مشكلة خطيرة، كيف يمكن لوزير الخارجية البريطانية أن يسلم البرقية إلى الأمريكيين؟ وأصر الكابتن هول على حل الأجزاء الناقصة من البرقية أولاً، ثم وضع

خطة لإخفاء حصول المخابرات البحرية على الشفرة الألمانية . وبالفعل استطاع هول الحصول على نسخة من البرقية الألمانية عن طريق عميل له من مكتب البرقيات فى العاصمة المكسيكية يوم 10 فبراير 1917 . إذ إن السفير الألمانى فى واشنطون أرسل البرقية عن طريق مكتب التليجراف إلى الوزير المفوض الألمانى فى المكسيك . ولم تكن هناك إلا اختلافات بسيطة حول المصدر ، والعنوان المرسل إليه ، وبعض الأرقام التسجيلية . فإذا أعلنت هذه النسخة ، فسوف يقتنع الألمان بأن البرقية قد التقطت أو سُرقت فى القارة الأمريكية ، بين واشنطون والمكسيك . وبذلك تبتعد الشبهات عن الغرفة 40 .

وبعد عشرة أيام أخرى ، تمكن موظفا الشفرة فى الغرفة 40 من حل الأجزاء الناقصة فى البرقية . وكانت هذه الفقرات تشير بشكل خاص إلى وعد ألمانيا بمساعدة المكسيك لاستعادة أراضيها الضائعة فى حروب سابقة مع الولايات المتحدة . وهو يثبت بالتأكيد تآمر الألمان على أمن وسلامة أمريكا .

* * *

تكدست السفن بشحناتها فى جميع الموانى الأمريكية ، حيث رفض قباطنها الإبحار دون حراسة المدمرات ، واختنق الاقتصاد الأمريكى بشكل مزعج . وأراد الرئيس الأمريكى تسليح السفن التجارية كخطوة لتفادى الحرب ، وكرادع للألمان ، وكان من سلطاته أن يأمر بذلك . ولكنها فى نفس الوقت خطوة نحو الحرب والصدام ، ولابد من مصادقة الكونجرس الأمريكى طبقًا للقوانين ، ولكن كان هناك الكثيرون من النواب يعارضون هذه الخطوة . فى تلك اللحظة الحرجة سلمت بريطانيا نسخة البرقية الألمانية بالطرق الدبلوماسية . فرأى فيها الرئيس الأمريكى فرصة لإجبار الكونجرس على تسليح السفن التجارية .

أذيع نص البرقية بطريقة غير رسمية عن طريق إحدى وكالات الأنباء الأمريكية ، على صحف العالم . ورفضت الوكالة الكشف عن مصدر البرقية حتى لاتعرض أحدًا للخطر . مع التلميح بصورة مبهمة أنها حصلت عليها فى المكسيك أو واشنطون . وأثارت البرقية وما جاء فيها موجة عارمة من الغضب فى طول البلاد وعرضها خلال عطلة نهاية الأسبوع . فلما حضر النواب إلى مبنى الكابيتول صباح الإثنين ، كانت المؤامرة الألمانية على

كل لسان . ووافق مجلس النواب بأغلبية ساحقة على تسليح السفن التجارية .

وكان لابد أيضًا من عرض الأمر على مجلس الشيوخ للتصديق عليه ، وكان هناك بالفعل الكثيرون الذين يشككون فى صحة البرقية . وكان السيناتور هنرى كابوت لودج - الذى يميل للحلفاء - يعتقد أنه لو أكد الرئيس صحة البرقية ، فسوف يجد نفسه مقيدًا . ولذلك قدم مشروع قرار فى مجلس الشيوخ يطالب فيه الرئيس بإلقاء بيان حول البرقية ، ثم جلس ليتابع المسرحية وهى تتفاعل . فكلما زاد الجدل عن البرقية ، ازداد الضغط على الرئيس الأمريكى .

* * *

توقع الكابتن هول تصاعد الشكوك الأمريكية حول البرقية الألمانية . فطلب من الأمريكيين الحصول على نسخة من البرقية فى مكتب شركة التليجراف الأمريكية التى أرسلت البرقية من واشنطون إلى المكسيك . وعندما وصلت هذه النسخة إلى لندن ، توجه هول مع خبيرى الشفرة إلى السفارة الأمريكية فى لندن . وتحت

أعين السفير الأمريكى والدبلوماسيين ، قام الخبيران بحل البرقية كلمة كلمة طبقًا لكتاب الشفرة أمامهم .

وأرسل الرئيس الأمريكى خطابًا إلى مجلس الشيوخ - فى ثورة غضبه - يؤكد فيه أن الحكومة الأمريكية لديها دليل واضح يثبت صحة البرقية ، وأنه لايستطيع إذاعة معلومات أكثر من ذلك . وبذلك أطبق الفخ على ويلسون ، وأصبح فى ورطة بعد ذلك كما توقع السيناتور لودج تمامًا . ويقول لودج فى ذلك « إن الرئيس لم يكن يقصد دخول الحرب ، ولكنه وقع فى قبضة الأحداث ! » .

ومع ذلك فإن الأحداث لم تتطور بالسرعة الكافية ، إذ كان هناك - برغم ذلك - الكثير من المتشككين فى صحة البرقية . ولسبب غير مفهوم ، اعترف وزير الخارجية الألمانية ارتور زيمرمان بأنه أرسل البرقية ، فتنفس الجميع الصعداء . ولكن أثر اعتراف الوزير الألمانى كان صاعقًا فى الولايات المتحدة ، إذ كان ثلثا الشعب الأمريكى ينظرون إلى الحرب بلا اكتراث ، برغم إغراق العديد من السفن التجارية الأمريكية بشحناتها .

كانت الحكومة البريطانية قد منحت أعضاء السفارة

الألمانية تصريحًا بالمرور عبر كندا . وفى ميناء هاليفاكس الكندى جرى تفتيش السفينة والركاب بدقة ، حيث احتجزت السفينة لحوالى أسبوعين بحجة إتمام التفتيش . ولكن الهدف كان تأخير السفير الألمانى بيرنستورف من العودة إلى برلين بسرعة ، حتى لايتمكن بلباقته من إقناع حكومته بعدم استفزاز الولايات المتحدة لدخول الحرب . مع ترك الوقت الكافى للبرقية السرية كى تتفاعل أحداثها فى أمريكا . ولم يسمح للسفينة بالتحرك من ميناء هاليفاكس الكندى إلا يوم 27 فبراير 1917 .

* * *

لم يوافق مجلس الشيوخ الأمريكى على قانون تسليح السفن التجارية ، وأعاده إلى الحكومة . فاستخدم الرئيس ويلسون سلطاته التنفيذية وأصدر أمرًا بتسليح السفن فى 12 مارس . وكانت الغواصات الألمانية قد جعلت من الطرق البحرية المؤدية إلى بريطانيا مقبرة بحرية من السفن الأمريكية وغيرها من الدول . وأصبح الأمر فوق الاحتمال ولايطاق على الإطلاق . وفى 20 مارس اجتمع الرئيس ويلسون مع أعضاء الحكومة بالكامل ، وكان الجميع يطالبون بدخول الحرب . فترك الرئيس غرفة الاجتماع دون أن يدلى برأى .

وفى اليوم التالى ، دعا الكونجرس للاجتماع يوم 6 أبريل 1917 ، بكامل مجلسيه النواب والشيوخ ، للاستماع إلى رسالة «تتعلق بالمسائل الخطيرة التى تمس الأمن القومى» .

فى الساعة الثامنة والنصف مساء يوم 6 أبريل ، ألقى ويلسون خطابًا شاملاً فى الجلسة المشتركة للكونجرس ، أشار فيه إلى جهوده السابقة من أجل السلام وعقد صلح مشرف بين المتحاربين . ثم تطرق لحرب الغواصات بلاقيود والسفن الأمريكية التجارية وغيرها للدول المحايدة التى أغرقت . ثم برقية وزير الخارجية الألمانية ، ونيات الحكومة الألمانية بتحريض اليابان والمكسيك ضد سلامة الولايات المتحدة . وأشار إلى أن هذا التحريض للحكومة الإمبراطورية الألمانية ، يعد فى حد ذاته إعلانًا للحرب ضد حكومة الولايات المتحدة وشعبها .

كانت قاعة الكونجرس مكتظة بأعضاء المجلسين والوزراء وأعضاء المحكمة العليا والسفراء ورجال الصحافة والزوار ، وهم يستمعون فى صمت وأعصاب مشدودة . وقرب نهاية خطابه قال الرئيس ويلسون «إن العالم يجب أن يكون آمنا ، وأنه يجب الدفاع عن الديموقراطية . لأن الحق أثمن من

السلام ! » ثم أنهى خطابه بقوله : « إن أمريكا يجب أن تقاتل من أجل المبادئ التى قامت عليها . وإنها لاتستطيع أن تفعل غير ذلك ، وليساعدها اللّه » .

وكان لدخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى فى جانب الدول المتحالفة ، أثر كبير فى إنهاء هذه الحرب الدموية ، التى اشتركت فيها 16 دولة وقتل فيها الملايين . حيث توقفت المعارك البرية فى سبتمبر 1918 ، وانتهت باستسلام الأسطول الألمانى فى 21 نوفمبر 1918 .



بتصرف مختصر عن كتاب :

The Zimmermann Telegram, By Barbara Talkman, 1965 Published by The Curtis Publication Co. Independnce Square, Philadelphia, Pennsylvania 19105, U.S.A.

أعلن الرئيس الأمريكى ويلسون فى جلسة مشتركة للكونجرس الحرب على ألمانيا بسبب برقية سرية.

١٢ ـ استدراج الطائرات الأمريكية إلى داخل روسيا ..

[بقلم : آلان رانكين]

من أغرب حوادث التشويش الإليكترونى Jammer ، والإعاقة المضللة Decoy ، والتجسس العسكرى ، هى التى حدثت بالفعل خلال عام 1958 . حيث اختفت بعض الطائرات العسكرية الأمريكية ، التى كانت قد انطلقت من قواعد جوية فى تركيا . ثم أسقطت فوق جمهورية أرمينيا ، التى كانت منضمة للاتحاد السوفييتى السابق ، قبل تفكك الاتحاد واستقلال دوله فى ديسمبر 1991 .

ففى صباح يوم 27 يونيو 1958 ، انطلقت طائرة نقل عسكرية أمريكية من طراز سى ــ 118 ، من أحد المطارات التركية . وكانت الطائرة فى طريقها إلى إيران ، عبر الحدود المشتركة مع تركيا ، وعليها شحنة خاصة ، وتسعة أمريكيين عسكريين ، بمن فيهم طاقم الطائرة . ولكن الطائرة اختفت من شاشات الرادار فى محطات المراقبة الجوية فى شرق تركيا .

عندما سُئل الروس فى اليوم التالى عن الطائرة

المفقودة ، قالوا بغموض إن الطائرة اضطرت للهبوط قرب بحيرة سيفان Lake Sevan فى أرمينيا . ولقد تحطمت الطائرة واحترقت ، ولكن الأمريكيين التسعة الذين كانوا فيها لم يصبهم سوء . ولم يكن هذا الحادث هو الأول من نوعه ، بل سبقه منذ بداية العام حوادث أخرى مشابهة بنفس التفاصيل .

أفرج الروس عن الطيارين التسعة بعد عشرة أيام . وقال الميجور ـ رائد ـ ليونارد لايل Leonard Lyell قائد الطائرة ، إنه كان يحاول الخروج من عاصفة كهربائية عنيفة ، بين مدينة آجرى Agri ومدينة فان Van التركيتين قرب الحدود الشرقية مع أرمينيا وإيران . وبعد فترة ، هاجمته فجأة طائرتان روسيتان من طراز ميج ـ 19 ، وأطلقتا على طائرته نيران رشاشاتهما .

وعلى الفور أنزل الميجور لايل عجلات الهبوط ، وهى إشارة دولية على أن طائرته تقوم برحلة عادية ، وأنها غير مسلحة . ولكن الطياران الروسيان واصلا قصف الطائرة الأمريكية ، حيث بدأت فى السقوط وسط النيران المندلعة . وأمر الميجور لايل بإخلاء الطائرة ، فأخذ زملاؤه فى الهبوط بالمظلات . بينما بقى طاقم الطائرة

حتى اللحظات الأخيرة ، حيث قفزوا منها قبل أن تنفجر بلحظات من اشتعال الوقود .

وقال ضابط الملاحة فى الطائرة ، إنه يشك فى أن هناك شيئاً ما غير العواصف الكهربائية ، جعلهم يقتربون إلى هذا الحد من الحدود الأرمينية ، بل ويخترقونها . حيث كان من المفترض أن يكون خط سيرهم الجوى بعيدًا عنها بحوالى 160 كيلومترًا داخل الحدود التركية . كما لاحظ أن إشارات المحطات الأرضية الملاحية الثابتة ، كانت فى غير مكانها المألوف عندما خرجت الطائرة من العاصفة . وكانت هذه أول لمحة ذكية إلى اختلاف اتجاه الإشارات الملاحية الآلية التى تحدد اتجاه المسارات الجوية للطائرات المدنية حول العالم . ولكن لم ينتبه أحد إلى ملاحظة ضابط الملاحة ، مما أدى إلى وقوع حوادث أخرى .

وكان آخر هذه الحوادث المفجعة هى التى حدثت فى صباح 2 سبتمبر 1958 . إذ انطلقت طائرة نقل أمريكية عسكرية من قاعدة أتانا الجوية بتركيا ، من طراز C – 130 هيركيولز ذات المحركات المروحية الأربعة . وكانت الطائرة

فى مهمة روتينية لقياس الذبذبات اللاسلكية الخاصة بالطيران فى شرق تركيا . ولذلك كانت الطائرة تحمل بعض المعدات الإليكترونية الخاصة والفنيين العسكريين العاملين عليها . وكان على متنها 17 شخصًا ، بمن فيهم أعضاء طاقم الطائرة الثلاثة بقيادة الكابتن بول دانكان Paul Duncan .

وقبيل الظهر كانت الطائرة تحلق فوق مدينة ترابزون التركية ، التى تبعد حوالى 145 كيلومترًا عن الحدود الأرمينية Armenia ، وعلى ارتفاع 8080 مترًا ، حيث يصعب رؤيتها من الأرض بسبب كثافة السحب . وقد حرص الكابتن دانكان – طبقًا لمشروع رحلته قبل الطيران – أن يحلق فى نفس المسارات الجوية للطائرات المدنية القادمة من أوروبا وأثينا عبر تركيا فى طريقها إلى إيران والشرق الأقصى . ولذلك استدار دانكان بطائرته عند ترابزون ليسير فى خط مواز للحدود الأرمينية نحو الجنوب ، دون أن يقترب منها أكثر من 140 كيلومترًا . وأبلغ الكابتن دانكان محطة المراقبة الجوية فى ترابزون بموقعه ، وأنه فى طريقه إلى مدينة فان الجنوبية داخل تركيا . وكانت هذه آخر رسالة من الطائرة الأمريكية .

أنكر الروس معرفتهم أى شىء عن الطائرة المفقودة طوال عشرة أيام . ثم أعلنوا أن الطائرة العسكرية اخترقت المجال الجوى لأرمينيا . وأنها سقطت فوق جبل ألاجيز Alagez ، داخل الحدود الأرمينية لمسافة 40 كيلومترًا . ثم أشارت مذكرة من الحكومة الروسية بعد ذلك ، أنه تم العثور على بقايا بعض الجثث لستة ممن كانوا على متن الطائرة .

وبعد أيام قامت السلطات الروسية بتسليم ستة توابيت خشبية عند جسر صغير على نهر آراس Aras الذى يمر بين تركيا وأرمينيا ، بالقرب من مدينة لينيناكان Leninakan الأرمينية . وتبين أن الأشلاء ممزقة ومحترقة ، ولم يمكن التعرف إلا على أربعة فقط منها .

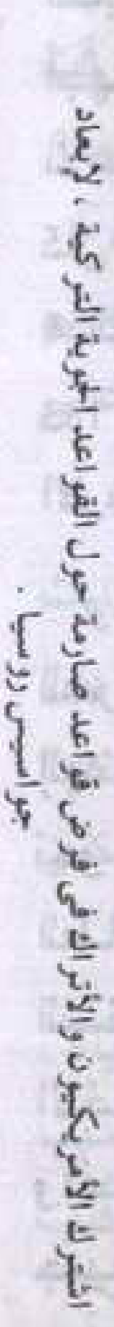
واعتبرت روسيا أن الحادث قد انتهى بتسليم هذه الأشياء ، ورفضت الحكومة الروسية تقديم أى تفسير عن سبب سقوط الطائرة الأمريكية ، ولا حتى مصير الأحد عشر فنيًا من طاقم الطائرة . برغم الطلبات الأمريكية المتكررة .

وأعلنت قيادة القوات الجوية الأمريكية ، أن هناك أسبابًا غامضة ـ غير القضاء والقدر ـ أدت إلى سقوط الطائرة . وأن

الكابتن دانكان يعدو من أمهر طيارى السلاح ، ويستخدم أجهزة توجيه إليكترونية حديثة ، تمكنه من الطيران الأعمى فى مثل الطقس السيئ والسحب الكثيفة ، التى كان يحلق خلالها على ارتفاع ثمانية كيلومترات . وليس هناك تفسير على الإطلاق لكيفية انحراف طائرته حوالى 183 كيلومترًا عن مسارها إلى الشرق ، وتعبر الحدود الأرمينية وتسقط فى مكان جبلى مقفر .

وعزمت قيادة القوات الجوية الأمريكية على اكتشاف السر ، بعد أن أشار الخبراء إلى أنه ولابد كان هناك تشويش إليكترونى على الأجهزة الآلية فى الطائرة جعلها تنحرف نحو الشرق . أو أن هناك إشارات لاسلكية مضللة لاجتذاب الطائرات العسكرية ، حتى تخترق المجال الجوى لدول الستار الحديدى الشيوعى . ثم إسقاطها بحجة هذا الاختراق . ولكن الغريب أن هذا الأمر لم يحدث مرة واحدة لأية طائرة مدنية فى نفس الخط الجوى . ولكن جميع هذه الحوادث وقعت لطائرات أمريكية عسكرية . مما يدل على أن هناك جواسيس محليين فى القواعد والمطارات التركية يعملون لحساب روسيا ، وإبلاغها بإشارات لاسلكية خاصة فور إقلاع هذه الطائرات العسكرية .





اشترك الأمريكيون والأتراك فى فرض قواعد صارمة حول القواعد الجوية التركية ، لإبعاد جواسيس روسيا .

مما دعا المخابرات الجوية الأمريكية إلى تشديد إجراءات الأمن فى هذه القواعد وما حولها ، بالاشتراك مع المخابرات التركية .

وبعد حوالى أسبوع واحد من وقوع هذا الحادث المفجع ، أرسلت القوات الجوية الأمريكية طائرة خاصة مجهزة بالمعدات والخبراء على مستوى عال . من طراز C - 130 هيركيولز أيضًا ، لتحلق فى نفس مسار الطائرة المنكوبة ، وتقلع من نفس المطار ، وفى يوم صحو تمامًا حتى يمكنهم رؤية العلامات الأرضية .

لاحظ الخبراء على ظهر الطائرة ، عند اقترابهم من محطة ترابزون ، أن الإشارات اللاسلكية الآلية التى تنبعث منها لتحديد مسار الخط الجوى تخفت تدريجيًا فى سماعات آذانهم . مع أنها يجب أن تزداد قوة ووضوحًا كلما اقتربت الطائرة من المحطة .

وفى نفس الوقت بدأت إشارات لاسلكية أخرى بنفس الموجة والتردد أو الذبذبة Frequency تنطلق من مكان آخر وبقوة .

وكان برج المراقبة الجوية واللاسلكى تحتهم مباشرة

فى ترابزون ، ويرون كل شىء بوضوح . ولكن الإشارات المشابهة تمامًا كانت تشير إلى الشمال الشرقى على طول الساحل المتعرج للبحر الأسود ، أى نحو جورجيا التى كانت ضمن جمهورية الاتحاد السوفييتى السابق .

أظهرت الأجهزة الإليكترونية المختلفة فى الطائرة ، والتى يمكنها تحديد مصدر واتجاه الإشارات اللاسلكية هذا الأمر ، بينما كانت الطائرة تحلق فى دورات واسعة حول المكان . ومعنى ذلك أنه لو كانت الطائرة تعتمد فى تحليقها على جهاز الطيران الآلى Auto - Pilot ـ كما كانت طائرة الكابتن دانكان ـ لاتجهت بهم عبر الحدود إلى أرمينيا أو جورجيا حيث يجرى إسقاطها بحجة انتهاك المجال الجوى .

واصلت الطائرة أبحاثها ، فاتجهت نحو الشمال . واقتربت إلى أقرب نقطة فوق ساحل البحر الأسود ، ولكن داخل الحدود التركية . وأمكن للخبراء أن يحددوا بأجهزتهم مصدر الإشارات المضللة بالضبط . وتبين لهم أن الإشارات تنبعث من محطتين فى جورجيا ، الأولى من مدينة باتومى Batumi الساحلية ، والثانية من مدينة بوتى Poti الساحلية أيضًا ، والتى تقع شمال باتومى . وكلتا المدينتين تقعان على خط واحد تقريبًا ، مع الممر الجوى المدنى التركى جنوبًا .

والذى يمر فوق ترابزون ، ثم أجرى ، ثم فان ، التى تقع على الجانب الشرقى لبحيرة فان Van .

ولاحظ الخبراء أن الإشارات اللاسلكية المضللة ، كانت دقيقة للغاية وبنفس الموجة والتردد ، ولكن بفارق كيلو هيرتز واحد ، وعلى نفس الخط والممر الجوى من المدينتين الجورجيتين .

وفى اختبار آخر ، انحرفت الطائرة الأمريكية ، وتوجهت نحو الجنوب ، على طول الحدود التركية الشرقية مع أرمينيا ، ثم إيران . وفى نفس الاتجاه نحو مدينة فان التركية التى كانت تقصدها طائرة الكابتن دانكان المخدوعة . ووجدوا أن مؤشرات أجهزتهم تجتذبها إشارات مضللة أكثر قوة ، تنطلق من العاصمة الأرمينية إيريفان Yerevan . وهى المكان الذى عثر فيه على طائرة دانكان المحطمة . ولم يستطع الخبراء الاستماع إلى إشارات محطة فان التركية ، إلا بعد أن اقتربوا منها إلى حد كبير ، ولكنها ليست فى مثل قوة المحطة المضللة داخل أرمينيا .

بعد خمسة أيام من اكتشاف هذه الخدعة القاتلة ، استدعى وكيل وزارة الخارجية الأمريكية روبرت مورفى ،



أرسلت أمريكا طائرة هيركيولز مجهزة إلى شرق تركيا ، حيث اكتشفت وجود ثلاث محطات للتضليل اللاسلكى داخل الجمهوريات الشيوعية .

السفير الروسى ميخائيل منشيكوف ، والملحق الجوى الروسى الجنرال ميخائيل كوستوك لمقابلته بالخارجية الأمريكية . ثم سألهما عن الوقائع الخاصة بالمفقودين الأحد عشر ، ولكنه لم يتلق منهم أية معلومات .

ثم قال مورفى إنه من المحتمل أنه يكون قائد الطائرة الأمريكية العسكرية ، قد عبر الحدود الأرمينية بطريق الخطأ . وذلك بسبب إشارات مضللة ترسلها أبراج اللاسلكى فى أرمينيا وجورجيا . ثم اتهم الروس بإسقاط طائرة النقل الأمريكية ، دون مراعاة لقواعد السلوك الدولى .

وأنكر السفير الروسى ذلك . وعندئذ قام وكيل وزارة الخارجية بتشغيل شريط مسجل لمكالمات لاسلكية للطيارين الروس فى أثناء قيامهم بضرب الطائرة . ولكن السفير رفض تمامًا الاستماع للتسجيل ، مؤكدًا أنه ليس خبيرًا فى المسائل الفنية . وعندئذ أكد له مورفى أن هذا بالضبط هو سبب استدعاء الملحق الجوى ، ولكن السفير رفض مرة أخرى الاستماع للتسجيل .

وأعلن الأمريكيون فى اليوم التالى كل الوثائق التى تدين العمل الإجرامى الذى قام به الطيارون الروس ، وأن ما حدث كان جريمة قتل مدبرة . كما أذاعوا نص المكالمات الصبيانية

التى يشوبها الانفعال بين الطيارين الروس لحظة إسقاط طائرة الكابتن دانكان يوم 2 سبتمبر 1958 . وقدمت الولايات المتحدة احتجاجًا شديد اللهجة على خرق روسيا لاتفاقية الاتصالات اللاسلكية الدولية عام 1939 ، والتى وقعتها .

وقامت الولايات المتحدة على الفور بتركيب أجهزة إليكترونية معينة فى جميع طائراتها العسكرية . من شأنها منع أى تشويش أو إعاقة أو تضليل لأجهزتها ، وقد تطورت مثل هذه الأجهزة الآلية كثيرًا . حتى إنها أصبحت تحذر الطيار بالصوت من كونه مستهدفًا بالتشويش أو التضليل . أو حتى من كون رادارات معادية موجهة إليه ، أو صاروخًا يتعقبه .

والحق أن قوانين البحار القديمة ، تطبق بصرامة فى جميع أنحاء العالم . حيث تقضى على البحار بعدم الاعتداء على زميل له فى أعالى البحار ، وأن يساعده فى محنته . أما قوانين الطيران فلها شأن آخر .

بتصرف مختصر عن المصدر :

Professional Pilot Magazine , by Allan Ranken , dated Sep . 1988

Washington . D . C . 20001 , U.S.A

فهرس



حدث بالفعل

وقائع حقيقية
وأحداث غريبة
ليس لها أى تفسير على الإطلاق



يتضمن هذا الكتاب أهم الأحداث الخطيرة فى عالم الجاسوسية ، مما كان لها تأثير مهم فى تطور الأمور . مع بعض الوقائع الأخرى التى يمكن أن تعطى فكرة سريعة عن هذا العالم الخفى والمثير .

وتشمل هذه الأعمال التجسس الفردى والعملاء ، والاستطلاع الفضائى بالأقمار المتخصصة ، والتصوير الجوى بالطائرات . وكذلك الشبكات الأرضية الثابتة ، أو السفن المتجولة حول العالم للتنصت على الاتصالات المختلفة ، وحل شفرة البرقيات .

وتمتد هذه الأعمال لتشمل التجسس العسكرى ، والاقتصادى ، والعلمى ، بل وأدق التفاصيل فى حياة الشخصيات المهمة . ولابد من تجميع وتصنيف وتبويب هذه المعلومات ، ثم تحليلها بعد ذلك ، والربط بينها لاتخاذ القرارات .

فالمعلومات تؤدى إلى المعرفة ، والمعرفة قوة ، والقوة هى ما تسعى إليه كل دولة لحماية وجودها وأمنها وكيانها ذاته ، بصرف النظر عن العداوات أو الصداقات ، فأصدقاء اليوم أعداء محتملون فى الغد .





الثمن فى مصر ٣٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم